

المسلمون وارهاسات الافاقة للخطر الصليبي

(٤٩٣ - ٤٩٨ هـ = ١١٠٠ - ١١٠٥ م)

الدكتور عبد الغنى رمضان

الاستاذ المشارك بقسم التاريخ بكلية التربية جامعة الرياض

ملخص :

البحث قسمان ، أولهما : عرض موجز للاوضاع الاسلامية في الشرق أول مجيء الصليبيين ٤٩٠ هـ - ١٠٩٧ م ، وهى اوضاع تدل على أن جميع حكام المسلمين - دون استثناء - كانوا آنذاك في غفلة تامة عن ادراك طبيعة الخطر الصليبي ، ودوافعه ، وأهدافه والقوى الاوروبية التى تقف وراء الصليبيين خدمة لمصالحها ، لأنهم كانوا غارقين في انقساماتهم وخلافاتهم . وفي أقل من سنتين ، تمكن الصليبيون من تثبيت أقدامهم في أكثر من موقع في الشرق الاسلامى : اخرها ، انطاكية وبيت المقدس .

أما القسم الثانى فهو عرض وتحليل لأحداث معينة ، وقعت بعد ذلك مباشرة بين المسلمين والصليبيين ، رأى فيها الباحث ، مقدمة لافاقة المسلمين ، وإيذاناً بتلك الافاقة ، أى : ارهاسات افاقة ، وارهاسات الافاقة التى ذكرها الباحث ، امتدت من أقصى الشمال ، حيث آسيا الصغرى ، وديار بكر وبلاد الجزيرة - وجميعها خاضعة للسلاجقة - الى أقصى الجنوب ، حيث مصر الفاطمية . وهذا يدل على أن ارهاسات الافاقة ، اتسمت بالشمول ، بغض النظر عن الحدود الإقليمية والمذهبية . واعتمد الباحث على ما يقرب من ستين من أمهات المصادر العربية والاجنبية .

الهدف من هذا البحث هو محاولة العثور على ما يمكن أن نعتبره مقدمة لافاقّة المسلمين نحو الخطر الصليبي ، وايدانا بتلك الافاقّة ، وهذا هو المعنى المجازي لكلمة : ارهاص (١) . وقد يبدو غريبا أن يحاول الباحث العثور على ارهاصات للافاقّة الاسلاميّة والخطر الصليبي في سنواته الاولى ، وريعه شديدة ، وعوامل قوته تزداد يوما بعد يوم . ولا يحسبن القارئ أن الباحث يكتب عن الحركة الصليبية ، أو حتى عن شخصية من شخصياتها ، أو موقعة من مواقعها أو قطاع منها مهما قصرت مدته أو ضاقت مساحته ، وانما هي مشاهد ، أو أحداث ، أو مواقف ، وجد فيها الباحث ، ما يمكن حمله على أنه مقدمة لافاقّة المسلمين نحو الخطر الصليبي ، وايدانا بتلك الافاقّة .

والبحث قسمان : -

أولا : المسلمون في المشرق أول مجيء الصليبيين .

ثانيا : ارهاصات الافاقّة الاسلاميّة : -

١ - أسر بوهيمند الصليبي أمير أنطاكية (٤٩٣ - ١١٠٠ م) .

٢ - القضاء على حملات ٤٩٤ - ١١٠١م الصليبية .

٣ - المحاولات الفاطمية لتخليص بيت المقدس : -

أ - المحاولة الاولى (موقعة عسقلان أغسطس ١٠٩٩ م) .

ب - المحاولة الثانية (موقعة الرملة الاولى سبتمبر ١١٠١ م) .

ج - المحاولة الثالثة (موقعة الرملة الثانية مايو ١١٠٢ م) .

د - المحاولة الرابعة (صيف ٤٩٦ - ١١٠٣ م) .

هـ - المحاولة الخامسة (موقعة الرملة الثالثة أغسطس ١١٠٥ م) .

٤ - تحالف سقمان بن أرتق وجكرش على الجهاد ٤٩٧ - ١١٠٤ (موقعة حران ١١٠٤م)
ويلاحظ أنه يوجد ، في نهاية البحث ، تعليقات وحواش للاطلاع عليها ، فضلا عن خريطة للاماكن التي ذكرت في البحث .

أولا : المسلمون في المشرق أول مجيء الصليبيين •

شهد العقد الأخير من القرن الخامس الهجري (١٠٩٧ - ١١٠٦ م) وصول الحملة الصليبية المعروفة بالاولى الى الشرق الادنى الاسلامى ٤٩٠ - ١٠٩٧ م وتمكنت هذه الحملة في أقل من ثلاث سنوات ، أن تقيم ثلاث وحدات سياسية على أرض اسلامية هي : اماره الرها الصليبية ، وقاعدتها مدينة الرها في قلب ديار مصر ، من أرض الجزيرة شرقى الفرات (٢) ، و اماره أنطاكية ، وقاعدتها مدينة أنطاكية ، على ساحل البحر المتوسط غربى حلب (٣) ، ومملكة بيت المقدس الصليبية على أرض فلسطينية (٤) • والسبب في النجاح الذى أحرزته هذه الحملة أن الفرقة والانقسام كانتا الطابع الغالب على العلاقات بين القوى الاسلامية - على مختلف مستوياتهما - في الشرق الادنى الاسلامى ، وبيان ذلك أن القوتين الاسلاميتين العظيمين آنذاك وهما : السلطنة السلجوقية العظمى - وقاعدتها أصفهان (٥) - والخلافة الفاطمية في مصر - كانت العلاقة بينهما قد وصلت الى نقطة اللاعودة (٦) فأولاهما منية المذهب ، وثانيتها شيعية • ويأتى بعد هاتين القوتين العظيمين : الفرع السلجوقى بالروم ، والفرع السلجوقى بالشام • وأولهما يتزعمه قلعج أرسلان بن سليمان بن قطلش بن اسرائيل بن سلجوق (٤٧٩ - ٥٠٠ هـ = ١٠٨٥ - ١١٠٧ م) وبينه وبين السلطنة السلجوقية العظمى بأصفهان فرقة وانقسام (٧) فهي تعتبره فرعا تابعا يجب أن ياتمر بأمرها ، وهو في نفس الوقت يعتبر الامير محمد كمشتكين بن دانشمند الذى يسيطر على اماره في اقليم قبدوقيه في الاناضول ، تابعا له يجب أن ياتمر بأمره (٨) ، وأطماع كل منهما متعارضة • والفرع السلجوقى الثانى بالشام ، يمثل اثنان من أبناء تتش بن الب أرسلان السلجوقى : أكبرهما رضوان ملك حلب (٤٨٨ - ٥٠٧ هـ = ١٠٩٥ - ١١١٢ م) والاصغر دقاق أمير دمشق (٤٨٨ - ٤٩٧ هـ = ١٠٩٥ - ١١٠٤ م) وبين الاثنين من الفرقة والانقسام ما هو معهود في ذلك الوقت ، من رغبة الاخ الكبير في أن يكون أخوه الاصغر تابعا ياتمر بأمره ، هذا ان لم يتطلع ذلك الاخ الكبير الى ضم أملاك أخيه الاصغر • وبين هذا الفرع السلجوقى بالشام وبين السلطنة السلجوقية العظمى بأصفهان ، من الفرقة والانقسام ، كالذى بينها وبين نظيره بالروم • هذا بالإضافة الى عدد من أمراء التركمان وكبار قادة السلاجقة ، أقطع كل منهم اقطاما ، ويجتهد كل منهم في توسيع اقطاعه على حساب نظرائه ، بل وعلى حساب أبناء البيت السلجوقى نفسه ، أن استطاع • على أن موقف المسلمين - أول مجيء الصليبيين - لن يتضح الوضوح الكافى الا اذا عرفنا - ولو بصورة موجزة - ما كانت عليه الاوضاع في السلطنة السلجوقية العظمى ذاتها ، ثم مدى ادراك الفاطميين للخطر الصليبي أول ظهوره •

وفيما يتعلق بأوضاع السلطنة السلجوقية العظمى - أول مجيء الصليبيين - فانه ما ان توفى السلطان ملك شاه (٤٨٥ هـ - ١٠٩٢ م) حتى دب الصراع بين أبنائه على منصب السلطنة ، وكانوا أربعة : بركياروق ، محمد ، سنجر ، ومحمود وكان بركياروق أكبرهم ومحمود أصغرهم - فهو طفل ، وكان محمد وسنجر أشقاء • ورأى رجال البلاط السلطانى والحاشية تنصيب الطفل محمود سلطانا ، ووافق الخليفة العباسى المقتدى (٤٦٧ - ٤٨٧ هـ = ١٠٧٥ - ١٠٩٤ م) على ذلك • وواضح أن تنصيب الطفل محمود بن ملك شاه سلطانا ٤٨٥ - ٤٨٧ هـ = ١٠٩٢ - ١٠٩٤ م) لم تراع فيه مصلحة السلطنة

السلجوقية ولا مصلحة المسلمين عامة ، وانما روعيت فيه المصلحة الشخصية للذين نصبوه سلطانا . وتطلع الثلاثة الباقون من أبناء ملك شاه الى السلطنة وأولهم بركياروق الذى خاض صراعاً عنيفاً مع أخيه محمود ونافسه في منصب السلطنة ، وبوفاة محمود استقر بركياروق في السلطنة (٤٨٥ - ٤٩٨ هـ = ١٠٩٢ - ١١٠٥ م) . (٩) .

ونافس الشقيقان : محمد وسنجر أخاهما السلطان بركياروق وكانت أذربيجان والموصل وبلاد الجزيرة اقطاع محمد ، بينما كانت خراسان وبلاد ما وراء النهر اقطاع سنجر ، وللسلطان بركياروق العراقيان العربى والمجمى ، فضلا عن السيادة الاسمية على أخويه وعلى الفرعين السلجوقيين بالروم وبلاد الشام . وبارك الخليفة المستظهر العباسى (٤٨٧ - ٥١٢ = ١٠٩٤ - ١١١٨ م) التلاحن بين السلطان بركياروق وبين أخويه المنافسين له ، أملا في أن يسترد لنفسه شيئا من النفوذ والسلطان . وغرق بركياروق وأخوه في ذلك التلاحن الذى باركه أيضا كبار قادة السلاجقة ومقدميهم لأن كلا منهم يريد أن يزيد من نفوذه ، ويقتطع لنفسه جزءا من السلطنة - ان لم يكن له اقطاع - أو يزيد من اقطاعه ان كان عنده اقطاع . وتوالى التقاء الاخوة المتنافسين على السلطنة العظمى في ميدان القتال طيلة سنوات سلطنة بركياروق ، وعقدت بينهم معاهدات للصلح كانوا يسارعون الى نقضها قبل أن يجف مدادها ، وادعى كل من بركياروق وأخوه محمد أنه أحق بأن تكون الخطة في بغداد باسمه ، مما شجع الخليفة العباسى على أن يخطف لنفسه فقط - أحيانا - متجاهلا آل سلجوق (١٠) .

ومما زاد في تدهور الاوضاع بين أبناء ملك شاه المتنافسين على السلطنة العظمى، أن طائفة الحشاشين ، انتهزوا فرصة تلاحن آل سلجوق على منصب السلطنة العظمى وحاولوا تقويض هذه السلطنة السنية من الداخل . ونشط دعاة هذه الطائفة في نشر دعوتهم ، والاستيلاء على بعض الاماكن والقلاع الحصينة في أنحاء السلطنة السلجوقية ، كما نشطوا في بث الرعب بين المسلمين من أهل السنة واغتيال الشخصيات البارزة من السلاجقة وكبار قادتهم ومقدميهم ، وخاصة من عرف عنهم الاستعداد للتضحية بنفسيهم للدين ودفاعا عن أهل السنة . وبلغ من انغماس المتنافسين على السلطنة من آل سلجوق آنذاك في العداوة أن استعان بعضهم بهؤلاء المخربين في تحقيق أطماعه الشخصية (١١) .

تلك كانت حالة السلطنة السلجوقية العظمى أيام بركياروق . وصور ابن الاثير هذه الحالة بقوله (وعم الفساد فصارت الاموال منهوبة ، والدماء مسفوكة ، والبلاد مخربة ، والقرى محرقة ، والسلطنة مطموعا فيها محكوما عليها ، وأصبح الملوك مقهورين بعد أن كانوا قاهرين . وكان الامراء الاكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم وادلالهم) (١٢) .

هذه هي الاوضاع المتردية التى وصلت اليها السلطنة السلجوقية العظمى على عهد بركياروق ، وهو العهد الذى وصلت فيه الى المشرق الاسلامى الحملة الصليبية المعروفة بالاولى (٤٩٠ هـ - ١٠٩٧ م) . وكان من المفروض أن السلطان بركياروق هو أول من يتحتم عليه - بحكم منصبه - أن يتصدى لهذه الحملة . واذا كانت هذه الاوضاع المتردية قد حالت بين بركياروق وبين التصدى الجدى للحملة الصليبية المعروفة بالاولى

فان طابع الفرقة والانقسام الذى ساد بينه - باعتباره سلطانا أعظم - وبين الفرع السلجوقى بالروم ، والفرع السلجوقى بالشام ، فضلا عن كبار قادة السلاجقة ومقدميهم ، قد حمل هؤلاء واولئك على توجس الريبة والشك تجاه أى محاولة قد يقوم بها بركياروق لدفع الخطر الصليبي (١٣) .

ويتطلب الحديث عن موقف الفاطميين من الخطر الصليبي ، عند قدوم الحملة الصليبية المعروفة بالاولى (٤٩٠ هـ ١٠٩٧ م) القاء نظرة على علاقة الفاطميين بالدولة البيزنطية ، ذلك أنهم نظروا الى الصليبيين أول قدومهم - من خلال تلك العلاقة - والفاطميون استولوا على مصر صيف (٣٥٨ هـ - ٩٦٩ م) وهى نفس السنة التى انتهت فيها حكم الامبراطور نقفور فوكاس (٩٦٣ - ٩٦٩ م) وكان هذا الامبراطور قد قام في السنة الاخيرة من حكمه بحملة على شمال سوريا ، أثارت الرعب والخوف بين المسلمين فيها . وتمخضت هذه الحملة عن استيلائه على ميناء اللاذقية ، فقدت نقطة ارتكاز بيزنطية في سوريا الشمالية . وفي أقل من عام تمكن البيزنطيون من الاستيلاء على ميناء انطاكية في خريف (٣٥٨ هـ - ٩٦٩ م) وغدت انطاكية والمناطق المجاورة لها على الساحل وفي الداخل دوقية بيزنطية . وعقدت بيزنطة معاهدة بينها وبين المسلمين في حلب تناولت الحدود بين دوقية انطاكية البيزنطية وبين امارة حلب الاسلامية (١٤) .

وتمكن الفاطميون في خلافة المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ هـ = ٩٥٢ - ٩٧٥ م) من توطيد نفوذهم في دمشق والنصف الجنوبي من سوريا وحاولوا بسط سيادتهم على امارة حلب الاسلامية ، ولكنهم - في الوقت نفسه - لم يريدوا الدخول في صراع حياة أو موت مع الروم ، فاعترفوا بالسيادة البيزنطية على دوقية انطاكية وميناء اللاذقية . وكانت أبرز معالم السياسة الفاطمية تجاه الروم ما أشار به الوزير يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٥ م) قائلا (أنصح لك فيما يتعلق بك وبدولتك : سالم الروم ما سالموك) (١٥) . واستمرت العلاقة بين الفاطميين والروم ودية على عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٥ - ٤١١ هـ = ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) وجاءت أعماله ضد المسيحيين في بيت المقدس وضد غيرهم من الاقباط في الدولة الفاطمية سخابة صيف سرعان ما انقشعت (١٦) . وازدادت علاقة الود والصداقة بين الفاطميين والروم على عهد الظاهر لا عزاز دين الله (٤١١ - ٤٢٧ هـ = ١٠٢٠ - ١٠٣٦ م) ثم بلغت تلك العلاقة ذروتها على عهد المستنصر (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ = ١٠٣٦ - ١٠٩٦ م) فقد تجددت معاهدات الود والصداقة والاحترام المتبادل من الجانبين لمناطق نفوذ كل منهما في سوريا ، وبعض السر في ذلك أن كلا من الفاطميين والروم على عهد المستنصر وجد في السلاجقة عدوا مشتركا (١٧) . وفي خلافة المستظهر قامت السلطنة السلجوقية واحتضنت أهل السنة ، وأعلنت عزمها على ازالة الدولة الفاطمية وتوحيد العالم الاسلامي . وتمكن السلاجقة من القضاء على ما للفاطميين والروم من نفوذ وسيادة في شمال سوريا كما تمكنوا من اقتطاع معظم ما للروم من أراض في آسيا الصغرى والاناضول ، فضلا عن استيلائهم على الاملاك الفاطمية في سوريا الجنوبية ، بما في ذلك مدينة دمشق ومدينة بيت المقدس ، ولم يبق للفاطميين الا الموانئ على ساحل سوريا الجنوبية (١٨) . وهكذا غدا السلاجقة - أهل السنة - عدوا مشتركا لكل من الفاطميين والروم . واستمر ذلك في خلافة المستعلى الفاطمي (٤٨٧ - ٤٩٠ هـ = ١٠٩٤ - ١٠٩٦ م) عشية قيام الحركة الصليبية .

ثم تولى الخليفة الأمر الفاطمي (٤٩٠ - ٥٢٤ هـ = ١٠٩٦ - ١١٣٠ م) وعلاقة الفاطميين بالروم على ما هي عليه من صداقة وطيدة واعتبار السلاجقة عدوا مشتركا . وكان المتصرف في أمور الفاطميين آنذاك الوزير الافضل بن بدر الجمالي (٤٨٧ - ٥١٥ هـ = ١٠٩٤ - ١١٢١ م) وفي أول سنة من خلافة الأمر وصلت الحملة الصليبية المعروفة بالاولى الى آسيا الصغرى واستولت في يونيو ١٠٩٧ م على مدينة نيقية عاصمة السلاجقة بالروم . ونصح الامبراطور البيزنطى اليكسيوس كومنين (١٠٨١ - ١١١٨ م) الصليبيين أن يتصلوا بالفاطميين في مصر ، ويحتمل أنه أراد بذلك أن يطمئن الفاطميين بأن الصليبيين انما يعملون لحسابه ، وتحت سمعه وبصره . ويحتمل أن الصليبيين استجابوا لنصح الامبراطور في وقت مبكر ، وذلك قبل أن يستأنفوا زحفهم من نيقية فبعثوا برسلهم الى الفاطميين (١٩) . ثم استأنف الصليبيون زحفهم من نيقية ، وانتصروا على السلاجقة بالروم في موقعه دور اليوم (يوليو ١٠٩٧ م) والحقوا بهم خسائر فادحة . وفي أواخر أكتوبر القى الصليبيون حصارهم على مدينة انطاكية التابعة للسلاجقة آنذاك .

والثابت أن سفارة فاطمية وصلت الى الصليبيين أوائل ١٠٩٨ م وهم يحاصرون انطاكية ، ذلك أن الفاطميين اعتبروا الصليبيين مرتزقة يعملون على تحقيق المصالح البيزنطية التي ترمى الى استرجاع دوقية انطاكية وغيرها من نقاط الارتكاز البيزنطية في سوريا الشمالية ، وليس في هذا ما يضير الفاطميين . وحمل سفراء الفاطميين معهم الهدايا وظهروا ارتياحهم للانتصارات التي احرزها الصليبيون على السلاجقة في ذلك الوقت (٢٠) . وبناء على هذا الفهم الخاطيء لطبيعة الخطر الصليبي من قبل الفاطميين ، فان الوزير الافضل أراد من سفارته هذه أن يوضح للصليبيين كون السلاجقة عدوا مشتركا ، وعرض عليهم التحالف لاقتسام أملاك السلاجقة بالشام ، فتكون انطاكية من نصيب الصليبيين ، وتكون بيت المقدس من نصيب الفاطميين . ويبدو أن الوزير الافضل حدد هذه السياسة مسترشدا بالعلاقات التاريخية التي سبقت الاشارة اليها بين الفاطميين والروم ، فقد كانت انطاكية آخر ما يتطلع اليه الروم في شمال سوريا . والظاهر أن الصليبيين لم يشاءوا أن يعلنوا عن حقيقة أطماعهم في وقت مبكر ، فهم لا يزالون يحاصرون انطاكية واحتمال ارسال السلاجقة عسكريا لانقاذها ، فضلا عن التصدي لهم احتمال وارد .

على أن الصليبيين وافقوا - ولو مرحليا - على أن استرجاع الفاطميين لبيت المقدس سوف يشغل السلاجقة عن التفرغ الكامل لانقاذ انطاكية والتصدي لهم . كما أن انشغال السلاجقة بمحاولة التصدي للصليبيين وانقاذ انطاكية ، سوف يؤدي بدوره الى العيولة بينهم وبين تركيز جهودهم للاحتفاظ ببيت المقدس (٢١) . وكيفما كان الامر فان رسل الافضل ، قضوا في المعسكر الصليبي المحاصر لانطاكية ما يقرب من شهر ، حرص الصليبيون أثناءه على اخفاء جميع المتاعب التي يتعرضون لها أثناء حصارهم لانطاكية ، كما حرصوا على اظهار كل ما من شأنه أن يبرز قوتهم وبسالتهم . وفي مارس ١٠٩٨ م عاد رسل الافضل تصحبهم سفارة صليبية الى البلاط الفاطمي . وكانت السفارة الصليبية محملة بالهدايا ومعظمها من أسلاب السلاجقة ، وفيها رؤوس من قتلهم . وارسل الصليبيين لسفارتهم هذه يدل على أنهم أرادوا أن يتركوا بسبب

المفاوضات مع الفاطميين مفتوحا وألا يلتزموا بشروط محددة - في هذا الوقت المبكر - وخاصة فيما يتعلق بمصير بيت المقدس وأن تترك هذه المسألة لما سوف يتمخض عنه مجرى الأحداث - ثم أن سفارة الصليبيين هذه إلى البلاط الفاطمي سوف تمكنهم من الوقوف على حقيقة الأمر فيه ، وعلى مختلف الاتجاهات السياسية للفاطميين ، ومظاهر قوتهم أو ضعفهم - ورحب البلاط الفاطمي بالسفارة الصليبية وتعهد إبقائها في القاهرة أطول مدة ممكنة حتى تتكشف الأمور .

ورأى الصليبيون في سفارة الفاطميين اليهم عمق الانقسام بين السلاجقة وبين الفاطميين . ثم استولى الصليبيون على انطاكية (٢٨ يونيو ١٠٩٨) بعد انتصارهم على عسكر بعث به السلطان بركياروق ، بقيادة واحد من كبار قادة السلاجقة اسمه (كربوغا) ، في موقعة انطاكية . وتجلّى للصليبيين بكل وضوح يوم انتصارهم في موقعة انطاكية مدى انقسام ملوك وإمراء السلاجقة والمسلمين على أنفسهم وسوء نياتهم (٢٢) . وما أن استولى الصليبيون على انطاكية حتى تفشى بينهم وباء فتاك أعاقهم عن استئناف الزحف جنوبا إلى بيت المقدس عدة أشهر (٢٣) .

وفي يوليو ١٠٩٨م استرد الفاطميون مدينة بيت المقدس والمناطق المجاورة لها من حكام السلاجقة (٢٤) . وفي أواخر ذلك العام خفت حدة الوباء بين الصليبيين فاستأنفوا زحفهم (أوائل ١٠٩٩م) جنوبا ، وفي أثناء زحفهم هذا وضع لهم أيضا مدى الفرقة والانقسام بين صفار الحكام المسلمين وإمرائهم في الشام وجنوح هؤلاء الحكام والإمراء إلى مداراتهم وتسهيل مرورهم في المناطق التي تحت أيديهم . وفي أوائل إبريل وصل الصليبيون في زحفهم إلى بلدة (عرقة) : شرقي مدينة طرابلس على مسافة أربعة فراسخ ، واستولوا عليها (٢٥) . ووصل إلى المعسكر الصليبي في عرقة رسول من مصر الفاطمية صحبة السفارة الصليبية ، التي تعهد الفاطميون إبقائها ما يقرب من عام . وكان رسول الفاطميين يحمل رسالة تنبئ بأنهم على استعداد بأن يسمحوا للصليبيين بأداء فريضة الحج وزيارة كنيسة القيامة شريطة أن يكونوا جماعات غير مسلحة لا تتعدى الجماعة منها بضع مئتين . وأدرك الصليبيون أن الفاطميين تغيرت لهجتهم ، بعد أن وضعوهم أمام الأمر الواقع ، يوم أن استردوا بيت المقدس .

وقام الصليبيون بزحف خاطف من (عرقة) جنوبا فوصلوا إلى مدينة الرملة واستولوا عليها (٣ يونيو ١٠٩٩م) . والدليل على أن الصليبيين أدركوا الكثير عن الأوضاع الإسلامية أثناء السنتين اللتين جاسوا خلالها ديار المسلمين ، أنهم عقدوا في مدينة الرملة ، مجلسا حربيا ناقشوا فيه رأيين : أحدهما يقول بوجوب مهاجمة الدولة الفاطمية في عقر دارها ، وذلك بالزحف على القاهرة ، وثانيهما يقول باستمرار الزحف نحو بيت المقدس . وتفكير الصليبيين المبكر في مهاجمة الفاطميين في عقر دارهم جاء وليد اعتقادهم بأن مصر هي مفتاح الموقف في الشرق الأدنى ، إذ أن الاستيلاء عليها سوف يستتبعه حتما استيلاء الصليبيين على فلسطين ، واستقرار نفوذهم فيها . وتغلب الرأي الثاني فاتجه الصليبيون فعلا نحو بيت المقدس ، وألقوا حصارهم عليها ، وألح الصليبيون في حصار المدينة المقدسة ، وقاومت الحامية الفاطمية والمسلمون فيها مقاومة مستميتة في حدود الامكانيات المتاحة . وفي منتصف يوليو ١٠٩٩م سقطت مدينة بيت المقدس في أيدي الصليبيين بعد أربعين يوما من القتال المرير (٢٦) .

والمجال لا يتسع لذكر ما تواتر عن المأساة الدامية التي حاقت بالمسلمين من سكان بيت المقدس ، ولا للمذبحة التي خاض فيها الصليبيون في دماء المسلمين بالمسجد الأقصى (٢٧) . والواقع أن العالم الاسلامي - آنذاك - كان في أشد الحاجة الى هذه المأساة وتلك المذبحة ، وإلى ضياع المدينة المقدسة ، وإلى أفواج من المهاجرين اللاجئين من المسلمين يقدمون الى أهالي بغداد السنية وإلى القاهرة الفاطمية صورا باكية ومبكية ، تدعو الى نبذ الفرقة ، وتناسي الاحقاد المذهبية الضيقة ، والعودة الى آفاق الاخوة الاسلامية الرحبة . وقد سبقت الإشارة الى مدى تردى الاوضاع في السلطنة السلجوقية العظمى عند مجيء الصليبيين . والدليل على أن الفاطميين لم يكونوا قد أدركوا بعد - حتى سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين - طبيعة الخطر الصليبي وكنهه ، هو أن الناميات الفاطمية في موانئ الساحل لم تحاول اعتراض سبيل القوات الصليبية أثناء زحفها الغاطف من عرقة جنوبا ، وأن الوزير الفاطمي . الافضل تأخر عندما خرج بحملته التي أراد منها انقاذ بيت المقدس المحاصرة ، فقد وصل الى عسقلان ، بعد أن كهان الصليبيون قد استولوا على المدينة المقدسة بعشرين يوما . وسبب ذلك أن الفاطميين كانوا لا يزالون أسرى اعتقادهم الغاطي بأن الصليبيين انما يعملون مرتزقة في خدمة الدولة البيزنطية ، وأنه من الممكن الاستفادة منهم كحاجز يمنع عنهم خطر السلاجقة - حماة أهل السنة . وفي هذا المعنى يقول صاحب الدول المنقطعة : (ولما ملك الافرنج القدس ندم الافضل حيث لم ينفعه الندم ، لانه كان أحب نزولهم الساحل ليكونوا مانعين من نفوذ الترك الى ديار مصر (٢٨) .

وهكذا يمكن القول بأن كبار حكام المسلمين وصغارهم كانوا - أول مجيء الصليبيين الى المشرق - في غفلة تامة عن ادراك طبيعة الخطر الصليبي ودوافعه وأهدافه والقوى الاوروبية التي تقف وراءه وتحركه . وطبيعى أن يأتى الوقت الذى يفيق فيه المسلمون وحكامهم من غفلتهم ، ويستردوا وعيهم ، ويفتحوا عيونهم على التحدى الصليبي ، وأن يبدأوا - عندما يأتى ذلك الوقت - في مواجهة ذلك التحدى والتصدى له . وبين الغفلة التامة من قبل المسلمين وحكامهم ، وبين بداية افافتهم وقت أحداث ومشاهد في مجرى التاريخ العام للحركة الصليبية وهى لا تزال في مهدها ، حاول الباحث أن يعتبرها ارهاصات للافاقة الاسلامية نحو الخطر الصليبي (٢٩) .

ثانيا : ارهاصات الافاقة الاسلامية

١ - أسر بوهيمند أمير أنطاكية ٤٩٣هـ - ١١٠٠م :

كان بوهيمند أمير أنطاكية قد تقدم بقواته في صيف ٤٩٣هـ - ١١٠٠م لقتال رضوان ملك حلب ، واستولى على بعض الحصون والنواحي التابعة له ، وأخذ يعد العدة لحصار طويل الامد يضربه على رضوان في حلب . (٣٠) وفي هذه الاثناء وصلت له استغاثة من جبريل الارمنى المتقلب على ملطية في قلب بلاد الجزيرة . ولم تكن أهمية ملطية خافية على المسلمين وحكامهم ، (٣١) فهي همزة الوصل بين الاراضى الاسلامية في بلاد الجزيرة وما يليها شرقا ، وبين اراضى المسلمين بالروم . وقد حاول كل من قلعج أرسلان ، وابن الدانشمند ، الاستيلاء عليها قبل ثلاث سنوات . وكان قلعج أرسلان

يحاصرها ٤٨٩ - ١٠٩٦م وتغلى عن حصارها عندما علم بأخبار وصول طلائع العملة الصليبية الاولى الى آسيا الصغرى . وكان ابن الدانشمند يوالى الاغارة عليها منذ ذلك الوقت .

ولما حاصر ابن الدانشمند ملطية صيف ٤٩٣ - ١١٠٠م فضل أميرها الارمنى الاستعانة ببوهيمند رغم بعد أمارته : أنطاكية ، على أن يستعين ببلدوين دى بويون ، أمير الرها ، رغم قرب الرها منه ، ورغم أن بلدوين هذا ، كان زوجا لابنته . وسبب ذلك أن بلدوين تولي أماره الرها على جنة أمير أرمنى نظير لجبريل هو : ثوروس . واهتبل بوهيمند ألفرصة ادراكا منه لاهمية ملطية ، فترك قواته تواصل عملياتها الحربية عند حلب ، وأسرع ومعه قريب له يدعى : ريتشارد دى سلون في قوات من الفرسان والمشاة قدرتها المصادر الاجنبية بما يقرب من الخمسمائة ، على حين قدرها ابن الاثير بعشرة أضعاف هذا العدد (٣٢) . وفي الطريق الى ملطية مر بوهيمند على مدينة مرعش (٣٣) وحاول أن ينتزعها من أميرها الارمنى المتغلب عليها واسمه ثاتول . وكان ثاتول هذا موضع اعجاب وتقدير أبناء جلدته . (٣٤) وصمد ثاتول ، فاستحث حاكم ملطية بوهيمند الاسراع فتغلى هذا عن مرعش ، واستأنف تقدمه ، فوقع ومن معه من الصليبيين في كمين ، أحكم ابن الدانشمند اعداده ، فلم يفت أحد من الصليبيين من القتل ، ووقع بوهيمند وقريبه في الاسر .

ولاول مرة تنتصر قوات اسلامية على قوات صليبية وتستأصلها وتأسر واحدا من أبرز أمراء الصليبيين وهو بوهيمند . وكان بوهيمند هذا مصدر رعب في المشرق الاسلامي كله . وكان الصليبيون حتى وقوع بوهيمند في أسر ابن الدانشمند واستئصال من معه من الصليبيين ، قد قضوا ثلاث سنوات - تقريبا - جاسوا أثناءها خلال الديار - ديار المسلمين - وخاضوا طيلتها عدة معارك انتصروا فيها على المسلمين ، حتى ظن المسلمون أن عدوهم لا يقهر . واحاطت بالصليبيين هالة من المجد حتى خيم اليأس على نفوس المسلمين . ولهذا جاء انتصار ابن الدانشمند ووقع بوهيمند في قبضته اول حدث من أحداث الحركة الصليبية - وهي لا تزال في المهد - أتاح للمسلمين أن يستردوا شيئا من الثقة في أنفسهم ، وأن يدركوا أن عدوهم من الممكن التصدى له وقتاله والانتصار عليه اذا ما أحكموا التدبير وهذا في حد ذاته مكسب للقضية الإسلامية .

وعلم الصليبيون في أنطاكية بوقوع أسرهم في الاسر واستئصال جميع من معه من المقاتلين ، فهربت قواتهم التي كانت تقوم بعملياتها الحربية ضد حلب تاركة جميع ما كانت قد أعدته لحصار هذه المدينة الاسلامية . وتجرأ المسلمون في حلب فهاجموا بعض الحصون الصليبية القريبة وقضوا على الحاميات الصليبية فيها (٣٥) . وبلغ من ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين في حلب - بعد النصر الذي أحرزه ابن الدانشمند - أن أرسلوا الى الصليبيين في أنطاكية يطلبون تسليمها (٣٦) . ومع أن الصليبيين في أنطاكية لم يستجيبوا لما طلبه المسلمون ، ومع أن الصليبيين أيضا تمكنوا بعد قليل من العودة الى تهديد حلب والتضييق عليها - وتوضيح ذلك خارج عن نطاق البحث - فإن اللحظات التي استرد فيها المسلمون ثقتهم بأنفسهم وارتفعت أثناءها روحهم المعنوية مما لا يصح اغفاله ، وكذلك نجاح المسلمين في حلب في استرداد بعض الحصون والاماكن من

الصليبيين جعل المسلمين يدركون أن اغتصاب العدو لبعض الاراضي لا يعنى تملكه لها الى الابد ، وأنه في استطاعة المسلمين - اذا عقدوا النية واصطنعوا الجد - استرداد ما اغتصبه عدوهم .

وترتب على انتصار ابن الدانشمند وأسر له بوهيمند واتصاله للصليبيين الذين كانوا معه ، وقوع الريبة والشك بين كل من الصليبيين والمسيحيين الشرقيين على اختلاف مذاهبهم فقد تبادل الجميع التهم ، والقي الصليبيون تبعة ما حاق بأميرهم وصحبه على المسيحيين الشرقيين (٣٧) . ووقوع الريبة والشك بين الصليبيين والمسيحيين الشرقيين ، في صالح القضية الاسلامية دون شك . ثم ان وقوع بوهيمند في أسر ابن اندانشمند سوف يخدم القضية الاسلامية كما سنرى - بعد قليل - عند الحديث عن حملات ١١٠١م الصليبية . هذا بالاضافة الى أن أسر الامير الصليبي قلل من نشاط أتباعه في امارة انطاكية . وطال بقاء بوهيمند في الاسر ما يقرب من ثلاث سنوات ، ذلك أن ابن الدانشمند أضطر الى إطلاق سراحه ١١٠٣م لاسباب تتعلق بالمجرى العام لاحداث الحركة الصليبية - لا يتسع المجال لذكرها - وانما يهنا أن نشير الى أن من أسباب إطلاق ابن الدانشمند لسراح بوهيمند ، أن الصليبيين تعهدوا بعدم التعرض لابن الدانشمند اذا ما أراد الاستيلاء على ملطية . وتمكن ابن الدانشمند فعلا من الاستيلاء على ملطية بعد ذلك مباشرة فأمن بذلك اتصال المسلمين في الاناضول وأسيا الصغرى باخوانهم في الشام والعراق ، وحال بذلك بين الصليبيين وبين تملك هذه المدينة دات الموقع الاستراتيجي الهام .

٢ - القضاء على حملات ٥٤٩٤هـ - ١١٠١م الصليبية :

جاءت هذه الحملات الى الشرق الاسلامي تباعا سنة ١١٠١م نتيجة للنجاح الذي حققته الحملة الصليبية المعروفة بالاولى ، في اقامة امارات صليبية بالشرق الاسلامي . ذلك أن أخبار هذا النجاح ذاعت في مختلف انحاء أوروبا وخاصة عندما بالغ العائدون ممن اشتركوا في تلك الحملة ، في ذكر خيرات المشرق والفرص المتاحة أمام الراغبين في التكوين لانفسهم من الاوربيين الذين سوف يقدمو ن على حمل شارة الصليب . هذا بالاضافة الى أن أولئك العائدين ذكروا أن الامارات الصليبية الناشئة في المشرق ، في حاجة ملحة الى حشود من المهاجرين والمقاتلين ، حتى يتسنى لها أن تثبت أقدامها ، ثم تصمد وتوسع من رقعتها وذكر أولئك العائدون - ولا شك - ما تبدى لهم من نواحي الضعف بين المسلمين واستجابات أوروبا لهذا وذاك ، فتقدمت الحملات التي سوف نتحدث عنها . والحديث عنها سوف يقتصر على محاولة توضيح ما يمكن اعتباره ارهاصا وبشيرا بافاقة المسلمين .

حملة اللبارد :

كانت هذه الحملة أشبه بهجرة شعبية ضمت أعدادا من المحاربين وحشودا من غيرهم ، قدرت بحوالى مائتى ألف (٣٨) ، ويرأسها مطران ميلان وعدد من الكونتات ، ووصلت الى مشارف القسطنطينية في مارس ١١٠١م . وعجل الامبراطور الكسيوس في

نقلها الى البر الاسيوى ، فتجمعت بعد شهر في نيقوميديا ولحق بها - في اقل من شهر - عدد من بارونات فرنسا ، واتباعهم من الصليبيين ، ونزلوا بدورهم في نيقية . واتفق على أن يتولى قيادة هؤلاء وأولئك : ريموند الصنجيلى وكان واحدا من أبرز قادة الحملة الصليبية المعروفة بالاولى . وكان موضع ثقة الامبراطور البيزنطى ، وأسد الامبراطور هذه الحشود من الصليبيين ببضع مئتين من جنوده المرتزقة ، يقودهم : تزيثاس يعملون كأدلاء ومرشدين ، ووصلت أخبار هذه الحشود الصليبية الى من قرب من حكام المسلمين فتناسى قلج أرسلان ، سلطان السلاجقة بالروم ، وابن الدانشمند ما بينهما من فرقة وانقسام وأمدهما رضوان السلجوقى ملك حلب بقوات (٣٩) ، وهذا في حد ذاته ارهاص افاقه وبشير خير وفي أواخر مايو ١١٠١م تحركت هذه الحشود من نيقية ونيقوميديا نحو الشرق ، والمفروض أن هدفها الاول الوصول الى بيت المقدس ، وسد ما تعانيه الاملاك الصليبية من حاجة ملحة الى المقاتلين والمهاجرين وكان عليها اذا ما أرادت تحقيق هذا الهدف أن تسلك طريق : دور اليوم - قونية - ممرات طوروس الى أنطاكية ومنها الى بيت المقدس (٤٠) . ولكن اللبازد - وهم يكونون الغالبية من هذا الحشد - أصروا على اتخاذ طريق آخر بقصد تخليص بوهيمند من الاسر فهم يعتبرونه زعيما من زعمائهم وبطلا من أبطال الصليب (٤١) وهو وحده الذى يستطيع أن يقودهم الى النصر . هناك من قال بأن اللبازد أرادوا أيضا من طريقهم الذى سلكوه ضرب بغداد قلب العالم الاسلامى آنذاك (٤٢) فتوجهت الى أنقرة ثم تقدمت نحو الشمال الشرقى فوصلت الى جنجرا وهنا بدأت القوات الاسلامية المتحالفة تلحق بالعدو الضربات المتلاحقة . وبدأت عوامل الانقسام والتنافر بين الحشد الصليبي في الظهور ، وتعددت الرياضات ، وتوالى ضربات القوات الاسلامية . وفي أوائل أغسطس ١١٠١م حدثت المعركة الفاصلة بالقرب من سيواس . وفيها قضت القوات الاسلامية المتحالفة على هذه الحشود الصليبية فلم ينج منها الا الشريد وقدرت خسائر الصليبيين بما يقرب من ٨٠٪ (٤٣) .

وثانى حملات ١١٠١م الصليبية هى حملة وليم الثانى كونت ناكار وقد انضم اليه نظراء اقل شأنًا ، فضلا عن بعض الحجاج الفرنسيين ، ممن حملوا الصليب . وقدرت هذه الحملة بخمسة عشر الفا (٤٤) . ووصل كونت ناكار الى القسطنطينية حوالى منتصف يونيو ١١٠١م ثم رحل منها فوصل الى أنقرة (٤٥) . ولم يشأ أن يسلك طريق الحشود التى سبقته فتركها ٢٥ يوليو ١١٠١م نحو قونية (٤٦) التى غادرها بعد عشرين يوما صوب هرقلية ، وخفت القوات الاسلامية المتحالفة - ولما يمضى على انتصارها السابق قرب سيواس أكثر من نصف شهر - للقاء هذه الحملة . وتوالى هجماتها على العدو ليسل نهار ، ما بين قونية وهرقلية . وعلى مقربة من هرقلية دارت الواقعة الفاصلة . ولم ينج من هذه الحملة سوى بضع مئتين ، من الخيالة ، فروا مع قائدها وليم الثانى ، وتمرض الفارون للمتاعب والهجمات فلم يصل منهم الى الشام غير الكونت في ستة من أتباعه (٤٧)

وأخر حملات تلك السنة كانت بقيادة وليم التاسع دى بوتير ، دوق اكويتانيا وولف الرابع دوق بافاريا (٤٨) . وبلغ مجموع قواتهما ستين ألفا ، بما في ذلك النساء وغير المحاربين ، ووصلت هذه الحملة الى القسطنطينية . ثم عبرت الى البر الاسيوى فسلكت طريق قونية . وفي الطريق الى هرقلية تصدت لها القوات الاسلامية المتحالفة وقد انضم اليها حليف اسلامى جديد هو قراجه أمير حران (٤٩) . وعلى مقربة من هرقلية دارت

الموقعة الفاصلة حوالى أوائل سبتمبر ١١٠١ م ، ولم ينج من هذه الجموع غير وليم التاسع مع واحد من أتباعه ثم وليم الرابع (٥٠) .

والتقديرات العددية لحشود ١١٠١م الصليبية التى سبق ذكرها مستمدة من مصادر البحث الاجنبية ، وهى تكاد أن تتفق وما ذكرته مصادر البحث الاسلامية . اذ يقول ابن الاثير (٥١) ثم وصل من البحر سبعة قمامسة من الفرنج وأرادوا تخليص ييمند . . . فجمع ابن الدانشمند جمعا كثيرا ولقى الفرنج ، وجعل لهم كميناً ، وقتلهم . وخرج الكمين عليهم فلم يفلت أحد من الفرنج . وكانوا ٣٠٠٠٠ غير ٣٠٠٠ هربوا ليلسا وأفلتوا مجروحين ويؤيد هؤلاء وأولئك مؤرخ أرمنى شرقى عاصر تلك الاحداث هو متى الرهاوى (٥٢) .

وأدى مصير حشود ١١٠١م الصليبية الى التصاق تهمة التواطؤ ضد الصليبيين بالامبراطور الكيسوس وشعبه . ذلك أن الصليبيين حملوا الامبراطور والشعب الاغريقى تبعة ابادة هذه الحشود لانه هو وشعبه غرروا بها وضللوها واتصلوا بالمسلمين لبيدوها (٥٣) ومهما يكن من أمر هذه التهمة ومدى صحتها ، وبالرغم من أن المنصفين من الباحثين الغربيين برأوا - فيما يبعد - الامبراطور وشعبه منها ، فانها ذاعت في ذلك الوقت في أوروبا وشاعت ، وصادفت هوى في نفوس الصليبيين ، ونمت التهمة وكبرت بمرور الزمن ، حتى آتت أكلها ١٢٠٤م عندما هاجمت الحملة الصليبية الرابعة عاصمة الدولة البيزنطية ، وفتحتها عنوة واحتلتها . واضطر البيزنطيون لنقل عاصمتهم الى ساحل البحر الاسود الآسيوى . ولم يقتصر اتهام الصليبيين على الامبراطور البيزنطى وشعبه بل شمل أيضا الشعب الارمنى ، فقد اتهم أيضا - بدوره - بالتواطؤ مع المسلمين خاصة وأن الحشود الصليبية نزل بها ما نزل في مناطق يكثر فيها الارمن (٥٤) . وجاء اتهام الامبراطور البيزنطى وشعبه وكذلك اتهام الشعب الارمنى منذ ذلك الوقت فسى صالح المسلمين دون شك .

وكذلك أدى مصير حشود ١١٠١م الصليبية الى حرمان الاملاك الصليبية الناشئة في المشرق من الرجال والمقاتلين والمستعمرين ، فقد كانت تلك الاملاك تعاني نقصا فاحشا في هذا الصدد ، لقد كانت هذه الحشود كافية في نظر البعض (٥٥) لفتح دمشق وحلب ، أما وقد حدثت الكارثة ، فان الظروف لم تسمح بعدها للامارات الصليبية الناشئة بمثل هذه الهجرة الشعبية من أوروبا وتحتم على تلك الامارات أن تعمل في حدود ضيقة أملاها وصول بضع مئين من حين الى آخر واقتصر همها على الساحل . والذي حال بين أوروبا وبين ارسال حشود مماثلة لحشود ١١٠١م الصليبية الى المشرق منذ تلك السنة أن الطريق البرى الى الاملاك الصليبية سد في وجه الراغبين في حمل الصليب ، بعد النصر السدى حققته القوات الاسلامية المتحالفة ١١٠١م . وغدا على الراغبين في حمل الصليب من الاوربيين اتخاذ البحر طريقا . وهو طريق باهظ النفقات ، وامكانياته اقل من أن تنقل حشودا في ضخامة حشود ١١٠١م . ثم ان اتخاذ هذا الطريق يجعل القوات الصليبية المنقولة بواسطته ، تحت رحمة من عندهم السفن والاساطيل ، وهم آنذاك :مدن ايطاليا التجارية ، وعلى رأسها البندقية وجنوة . ومصالح هذه المدن قد لا تتفق دائما ومصالح الراغبين في حمل الصليب من الاوربيين ، فضلا عن مصالح الاملاك الصليبية في المشرق . ثم أن تحالف

القوى الاسلامية ١١٠١م واستمراره في ميدان القتال أكثر من شهرين ، وتماسك القوى المتحالفة يمثل صورة من وحدة الصف ، ووحدة الهدف ، ووضوح الرؤية والاخوة في حمل السلاح ، والقدرة على تنحية أسباب الفرقة والانقسام الجانبية بين الاخوة في الدين والوطن والمصلحة المشتركة ، وهذا كله كانت تفتقر اليه أمثال هذه القوات ، ويفتقر اليه القادة ١١٠١م . المسلمون الذين تجمعوا قبل ذلك بسنتين فقط وهم يحاولون انقاذ مدينة أنطاكية من مخالب الحملة الصليبية المعروفة بالاولى (٥٦) . ان هذا التحول في موقف قوات وحكام المسلمين تجاه العدو المشترك ، كما ظهر واضحا في أحداث ١١٠١م هو الذي يشجع الباحث على أن يعتبره ارهاصا من ارهاصات الافاقة الاسلامية ازاء الخطر الصليبي يبشر بالخير .

٣ - المحاولات الفاطمية لتخليص بيت المقدس :

١ - المحاولة الاولى (موقعة عسقلان - رمضان ٤٩٢هـ - أغسطس ١٠٩٩م)

قام بهذه المحاولة الوزير الفاطمي الافضل بن بدر الجمالي ، وذلك عندما علم بأن الصليبيين يحاصرون مدينة بيت المقدس . وحشد الافضل قواته وما كان ممكنا من مال وسلاح وخيل (٥٧) ولكنه وصل الى عسقلان ١٤ - أغسطس وقد فات الاوان ، ذلك أن الصليبيين كانوا قد أستولوا على المدينة المقدسة منذ عشرين يوما . ووصول الافضل الى عسقلان متأخرا دليل على أنه لم يدرك بعد حقيقة الخطر الصليبي . والدليل - ايضا - على أن الفاطميين كانوا لا يزالون أسرى اعتقادهم الخاطيء بأن الصليبيين انما يعملون في خدمة المصالح البيزنطية وأنهم لا يشكلون خطرا حقيقيا على المصالح الفاطمية ، هو أن الافضل عندما وصل الى عسقلان (أرسل الى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويتهدهدهم) (٥٨) على حد قول ابن الاثير . وكان الصليبيون انما قدموا من بلادهم ، وقاسوا ما قاسوه وخاضوا ما خاضوه من حروب ، واستولوا على ما استولوا عليه من اراض اسلامية فسي شمال سوريا وشرقي الفرات حيث أماره أنطاكية الناشئة وامارة الرها الناشئة أيضا اقول وكأنهم قاموا بذلك كله ليأتى الوزير الفاطمي فيأمرهم بالتخلي عن مدينة بيت المقدس ويتهدهدهم .

واخبار المعركة التي أنتصر فيها الصليبيون قرب عسقلان على الوزير الفاطمي الافضل - في محاولته هذه - مفصلة في المصادر ، (٥٩) ويهنا منها ذكر بعض الحقائق التي لها صلة بموضوع البحث معتمدين في ذلك على نصوص من المصادر الاسلامية . وأول هذه الحقائق أن المعسكر الفاطمي كان يلتقى بالصليبيين لأول مرة . فلا علم له بالعدو وأسلحته وخططه الحربية ، على حين كان العدو يلتقى بالمعسكر الفاطمي بعد خبرات طويلة اكتسبها في قتال نظراء لذلك المعسكر من المسلمين السلاجقة طيلة السنتين السابقتين لموقعة عسقلان هذه . ولهذا أستطاع العدو أن يستدرج الفاطميين الى القتال ويأخذهم على غرة (ولم يكونوا على أهبة القتال ، فنادوا الى ركوب خيولهم ، ولبسوا أسلحتهم ، وأعجلهم الفرنج فهزموهم ، وقتلوا منهم من قتل وغنموا ما في المعسكر من مال وسلاح) (٦٠) على حد قول ابن الاثير أيضا . والحقيقة الثانية هي أن الفاطميين التقوا بالعدو في هذه الموقعة ، وقد أحاطت به حالة من المجد الحربي فعجزوا عن أن يستردوا رباطة

جأشهم ولم يجروا على ابداء أية مقاومة (ولعبت سيوف الفرنج في المعسكر والراجل والمطوعة) على حد قول سبط ابن الجوزى (٦١) وفي أقل من ساعة انتصر الصليبيون في وقعة عسقلان هذه يوم ١٤ أغسطس ١٠٩٩م ، (وهزم الافضل ٠٠ أقيح هزيمة) (٦٢) . وعاد الوزير الافضل في فلول قواته الى القاهرة متخطيا عسقلان وحاميتها .

والحقيقة الثالثة عن حملة الافضل هذه ، والتي لها صلة بالبحث هي أن حالة المجد الحربى التى أحاطت بالعدو الصليبي لم يقتصر أثرها على المعسكر الفاطمى في ميدان القتال فحسب ، بل امتد الى من كان من ذلك المعسكر معتصما بمواقع حصينة مثل عسقلان . وذلك أن الصليبيين - بعد انتصارهم على الوزير الافضل - قصدوا عسقلان يريدون الاستيلاء عليها . مع أنه كان في مقدور حامية عسقلان الفاطمية أن تستميت في المقاومة معتمدة بتحصينات مدينتهم ، وبإمكان وصول الميرة والذخائر وغيرها من الامدادات - اليها - عن طريق البحر ، الا أنها لم تفعل - ولم تصمد حامية عسقلان وأهلها في القتال الذى دار بينهم وبين الصليبيين ، وانتصر العدو (وحكى أن الذين قتلوا في هذه الموقعة من أهل عسقلان من شهودها وتنائها وتجارها وأحداثها، سوى أجنادها ألفان وسبعمائة نفس) . على حد قول ابن القلانسى (٦٣) . ولم يحل بين العدو وبين الاستيلاء على عسقلان - آنذاك - سوى تنافس زعماء الصليبيين على من منهم ستكون له (٦٤) . وأفلتت عسقلان سنتنذ من الوقوع في أيدي الصليبيين .

وأخر الحقائق عن حملة الافضل هذه ، والتي لها صلة بالبحث هي ، أن آيا من المصادر العربية لم يذكر أن الفاطميين فكروا - حتى ذلك الوقت - وهم يواجهون الخطر الصليبي في التعاون مع السلاجقة بالشام ، وتناسى الاحقاد المذهبية . ومع ذلك فإن بعض المصادر الاجنبية تذكر أن قوات الافضل التى هزمها الصليبيون في معركة عسقلان - هذه - أشتمنت على أعداد من مقاتلى السلاجقة الاتراك فضلا عن أعداد من العشائر العربية في سوريا، وأن هؤلاء وأولئك جاءوا في طليعة من لاذوا بالفرار لحظة بدء القتال (٦٥) .

وهذه المحاولة الفاطمية الاولى كان لا بد من ذكرها لانها اشتملت كما رأينا على معظم السلبات في موقف مصر الفاطمية من الخطر الصليبي حتى ١٠٩٩م . وسوف يتضح لنا عند الحديث عن المحاولات الفاطمية التى تلتها ، كيف حاول الوزير الافضل والمعسكر الفاطمى تخطى هذه السلبات مما سيعتبره الباحث من ارهاصات الافاقة الاسلامية .

ب - المحاولة الثانية : موقعة الرملة الاولى - سبتمبر سنة ١١٠١م .

بدأ الخطر الصليبي يتضح بالنسبة للفاطميين في مصر بعد موقعة عسقلان السابقة، ذلك أن الصليبيين في مملكة بيت المقدس الناشئة بدأوا يستغلون وصول أخوانهم القادمين من أوروبا لاداء فريضة الحج وللبحث عن مستقبل لهم في الشرق الاسلامى . وكان هؤلاء القادمون الجدد قد جاءوا عن طريق البحر تحملهم أساطيل من مدن ايطاليا التجارية وفي مقدمتها جنوة . واجتهد الصليبيون في بيت المقدس في انتهاز الفرصة واستمانوا بالاسطول الجنوى في الاستيلاء على موانئ الساحل الفلسطينى وفي طليعتها ميناء (أرسوف) ورحب الجنويون بذلك مقابل امتيازات تجارية تمنح لهم في هذه الموانئ . وفي أبريل

١١٠١م استولى الصليبيون على ميناء أرسوف دون مقاومة تذكر ، فقد استسلم أهلها على أمان ، حرص الصليبيون على تنفيذه (٦٦) . وفي أقل من شهر توجه الصليبيون والاسطول الجنوى الى قيسارية شمالي أرسوف وبدأوا في حصارها من مايو ١١٠١م . وكانت قيسارية حصينة تحيط بها الاسوار فقاومت حاميتها الفاطمية واستبسل أهلها من المسلمين في الدفاع عن مدينتهم ودام الحصار ما يقرب من نصف شهر . واستطاع النجارون من الجنويين انشاء أبراج أعلى من أبراج قيسارية وأسوارها . وفي ١٧ مايو ١١٠١م استولى الصليبيون على قيسارية عنوة وارتكبوا مذبة لا تقل في قسوتها عن مذابح المغول أيام جنكيزخان على حد تعبير واحد من المؤرخين الغربيين (٦٧) .

والدليل على بداية وضوح الخطر الصليبي بالنسبة للفاطمين في مصر أن الوزير الافضل أرسل حملة بقيادة سعد الدولة المعروف بالقواس تهدف - فيما يبدو - الى انقاذ ميناء قيسارية المحاصر قبل أن يستولى عليها الصليبيون . ولكن الصليبيين فوتوا الفرصة على الفاطميين باستيلائهم السريع على قيسارية نتيجة للخدمات التي أداها الاسطول الجنوى ورجاله ومن ثم حاول القائد الفاطمي الهجوم على مدينة الرملة ، وخسف الصليبيون - وقد استولوا على قيسارية - لانقاذها فتراجعت القوات الفاطمية الى عسقلان وبقيت فيها لمدة أشهر في انتظار وصول امدادات من مصر ، وفي نفس الوقت في انتظار رد السلاجقة حكام دمشق على مبادرة تهدف الى عقد تحالف (٦٨) لمواجهة الخطر المشترك . وفي أوائل سبتمبر وصلت (سفن قادمة من أوروبا يبلغ عددها الثلاثين حاملة بضعة آلاف من الصليبيين الى يافا) وحال وصول هذا الاسطول دون وصول أسطول فاطمي كان في الطريق لموازنة القوات التي في عسقلان (٦٩) وفي نفس الوقت لم يستجب السلاجقة حكام دمشق للمبادرة الفاطمية ، ومن ثم دار قتال بين القوات الفاطمية والصليبيين ، عند الرملة . والذي يتصل بموضوع البحث من وقعة الرملة هذه أن النصر فيها جاء - الى حد كبير - قسمة بين الفاطميين والصليبيين : تمكنت بعض القوات الفاطمية من دحر ثلاثة من أقسام القوات الصليبية الخمسة التي حشدوا بلدوين الاول ملك بيت المقدس ، وتمقتها حتى أسوار يافا ، على حين تمكن القسمان الاخران من الصليبيين بقيادة ملكهم من دحر بقية القوات الفاطمية وتمقتها حتى عسقلان ، وتساوت خسائر الجانبين من القتلى ولاول مرة يذكر المؤرخون من المسلمين الحاق الفاطميين ضربة موجعة بالصليبيين (٧٠) .

وانتصار القوات الفاطمية - وان كان جزئيا ولم يترتب عليه نتائج يؤيه بها - يبشر في حد ذاته بالخير . ثم ان سعى أولي الامر في مصر الفاطمية الى محالفة السلاجقة من حكام دمشق - وان لم يلق قبولا - يعتبر أيضا في حد ذاته تحولا جديرا بالانتباه .

المحاولة الثالثة (معركة الرملة الثانية مايو ١١٠٢م) :-

واستأنفت مصر الفاطمية جهادها ، فبعث الوزير الافضل حملة بقيادة ابنه : شرف المعالي ، وصلت الى عسقلان في رجب ٤٩٥هـ . (أبريل - مايو ١١٠٢) . وتقدم شرف المعالي نحو الرملة ، وفي الطريق اليها انضمت اليه أعداد من عرب البادية . ويبدو أن الفاطميين بدأوا يستفيدوا من خبراتهم في قتال العدو ، فحرصوا على تسمية أخبارهم ، واصطنعوا شيئا من الحيلة والعدر في قتاله (٧١) ، على حين بالغ العدو الصليبي في

الاستهانة بالمقاتلين من المسلمين • وخف بلدوين الاول ، ملك بيت المقدس ، للمسلمين في خيرة فرسانه ، وانضم اليه أعداد من مقدمى فرسان الصليب الذين كانوا قد أفلتوا من حملات ١١٠١م الصليبية التى سبق ذكرها (٧٢) • واندفع بلدوين ومن معه من الفرسان غير عابىء باصطحاب قوات من المشاة بالرغم مما يشكله ذلك من خطورة ، ذلك أن احتمالات النصر في معركة ينقصها المشاة قليلة جدا (٧٣) • ونجح المسلمون فى تعمية أخبارهم حتى وجد بلدوين وصحبه أنفسهم فجأة بين مغالب القوات الاسلامية •

وفي ١٧ مايو ١١٠٢ دارت موقعة الرملة الثانية ، وفيها انتصر المسلمون فأهبطوا أكثر من مائة من كبار مقدمى الصليبيين وقتلوا الباقين ، ولم ينج غير الملك الصليبي في ثلاثة من أتباعه تعقبهم المسلمون فقتلوا الاتباع ، وتمكن الملك من الاختفاء في أجمة قصب ، فأشعلت فيها النيران • وظن المسلمون أن الملك الصليبي سوف يحترق ولا شك ، ولكنه أصيب فقط ببعض الحروق ، وفي الليل تمكن بلدوين من النجاة وفر الى ميناء أرسوف (٧٤) •

ثم حاصر المسلمون الرملة ، واقتحموها عنوة فأسروا ثلاثمائة من حاميتها الصليبية ، وقتلوا الباقين وعددهم أربعمائة ، وانتقموا بذلك الى حد ما للمذبحة التى ارتكبها الصليبيون مع مسلمى قيسارية قبل ثمانية أشهر (٧٥) • ويبدو أن طائفة من القوات الاسلامية أرادت التوجه لتخليص بيت المقدس ، على حين أرادت طائفة أخرى التوجه للاستيلاء على ميناء يافا (٧٦) • وما زاد في خطورة هذا الاختلاف أن كلا من القوات الفاطمية وعرب البادية الذين أشاركوا في المعركة ادعى (أن الفتح له) (٧٧) • وتعلب الرأى القائل بالتوجه الى يافا ، ذلك أن بلدوين كان قد تمكن من الوصول اليها يوم ١٩ مايو ، بفضل مخاطر انجليزى نقله على سفينته من أرسوف • وألقى المسلمون الحصار على يافا في اليوم التالى لوصول بلدوين اليها وأسرع بلدوين في تسريب من يستصرخ أتباعه في مملكة بيت المقدس طالبا النجدة ، كما أسرع في ارسال من يستحث اخوانه من الصليبيين في الرها وفي أنطاكية القدوم للاسهام في الدفاع عن المملكة الصليبية التى نهتز الارض تحت أقدامها •

وبينما المسلمون يحاصرون يافا من البر كان الأسطول المصرى يحاول ضرب الحصار عليها من البحر • واتفق في ذلك الوقت أن وصل الى ميناء يافا أسطول انجليزى ، من مائتى سفينة ، مشحونا بالصليبيين من فرنسا وانجلترا وألمانيا (٧٨) • وجاءت الرياح بما تشتهي السفن الانجليزية فاخترقت الحصار الذى كان الأسطول المصرى يحاول أن يضربه على يافا ، ونزل القادمون من الصليبيين الى الميناء • وانضم هؤلاء القادمون الجدد من أوروبا الى بلدوين ومن معه ، كما انضم اليه مشاة الأسطول الانجليزى ، على حين وصل أتباع بلدوين - من مختلف أنحاء مملكته - في فرسانهم ومشاتهم لنجدة • وتجراً الملك الصليبي فبدأ يناوش القوات الاسلامية المحاصرة ليافا من البر ، وحاول المسلمون استدراجه الى حيث يمكنهم الالتحام به ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك •

ثم دار قتال على مقربة من يافا لم يحرز فيه أى من الطرفين : الاسلامى والصليبي ، انتصارا حاسما ، وتساوت خسائر الطرفين (٧٩) • وعاد المسلمون الى عسقلان كما عاد

الصلبيين الى يافا ، وبعد قليل وصل أمير الرها وأمير أنطاكية في قوات من الصليبيين ، وأراد بلدوين الاستماعة بهم في الاستيلاء على عسقلان ، فتوجهوا اليها ، وحاصروها ولكنها صمدت ، فقد كانت الروح المعنوية للحامية الاسلامية بها مرتفعة الى حد كبير ، بعد الانتصارات التي حققها المسلمون قبل ذلك بقليل مما جعل بلدوين وصحبه من الصليبيين لا يخاطرون بالاستمرار في حصار عسقلان (٨٠) .

وأذا كانت القوات الاسلامية الفاطمية لم توفق كل التوفيق ، في استغلال الفرص التي سنحت لها أثناء قتالها للصليبيين في هذه السنة ، فان مرد ذلك يرجع - الى حد كبير - الى أن بعدا جديدا من أبعاد الحركة الصليبية قد بدأ يتكشف ويلقى بثقله ، ونعني بذلك أن المسلمين من الفاطميين لم يكونوا يجاهدون الصليبيين الموجودين في المشرق فقط ، وانما كانوا يقاتلون أيضا من هم وراءهم ونعني بذلك شعوب أوربا وأساطيلها والمغامرين من قرصانهم . ومع ذلك فان العمليات الحربية الفاطمية التي ذكرناها في هذه السنة عرضت حياة بلدوين للخطر . ولم ينج من ألوت الا بأعجوبة . كذلك مرت لحظات على الصليبيين في مدينة بيت المقدس غداة موقعة الرملة هذه - اهتزت الارض فيها من تحت أقدامهم ، وهربوا بالجلء عن المدينة المقدسة لولا أن ثبتهم ذوو الرأي والبصيرة من رؤسائهم (٨١) . هذا الى ان المسلمين زادت - ولاشك - خبراتهم ومعلوماتهم عن قتال العدو وأساليب ذلك القتال ، كما وأن الهالة التي كانت تحيط بذلك العدو مرت عليها لحظات ضعف كادت فيها أن تختفى ، يوم أن رأى المسلمون فرسان الصليبيين وصناديدهم مجندين في ساحة القتال ، ويوم أن وقع مئات من الصليبيين - وفيهم شخصيات بارزة - أسرى في قبضة المقاتلين المسلمين ، ويوم أن شهدت القاهرة الفاطمية أسرى الصليبيين بالمئات . وهذا في حد ذاته كسب كبير ، وبشير خير ، وارهاس افاقة .

د - المحاولة الرابعة (صيف ٤٩٦ - ١١٠٣ م) .

السبب في هذه المحاولة اقدم بلدوين الاول ملك بيت المقدس على محاولة أنتزاع عكا من حاميته الفاطمية . وقد بدأ بلدوين في حصار عكا حوالى منتصف أبريل ١١٠٣م مستغلا في ذلك بقاء بعض السفن من الاسطول الانجليزي الذي كان قد أتى الى المشرق صيف العام السابق . وطال حصار بلدوين لعكا ، ونصب عليها المنجنيقات والابراج ، وبعد مضي ما يقرب من شهر اجتمع المسلمون من سائر السواحل ، وتقدمت اثنتا عشرة سفينة مصرية تحمل المقاتلين ، فضلا عن سفينة أخرى كبيرة مشحونة بالذخائر والميرة . وأفلح المسلمون في حمل العدو عن رفع الحصار عن عكا ، وأحرقوا منجنيقاته وأبراجه والسفن الانجليزية التي كانت معه (٨٢) .

على أن انقاذ عكا - آنذاك - لم يمن زوال الخطر الصليبي عليها ، فبعث الافضل بقوات يقودها واحد من أبنائه هو : شرف الدولة ، كما بعث بقوات برية أخرى بقيادة أحد مماليكه واسمه : تاج المعجم ، فضلا عن قوات بحرية بقيادة القاضي ابن قادوس . ولم توضح مصادر البحث العلاقة بين هذه القوات الفاطمية ، وهل كانت تعمل تحت قيادة موحدة أو تعددت القيادات فيها . والذي ذكرته مصادر البحث أن خلافا نشب بين تاج

المعجم وبين القاضي ابن قادوس أدى الى قلة فاعلية قواتهما . فقد وصلت القوات البحرية بقيادة ابن قادوس الى مياه يافا ، بينما توقفت القوات البرية بقيادة تاج المعجم عند عسقلان .

والذى يتصل بالبحث من أخبار هذه القوات الفاطمية أن شرف الدولة بن الأفضل (كتب الى دمشق وغيرها باستدعاء العسكر للجهاد) (٨٣)، ومعنى هذا أن مصر الفاطمية جددت مبادراتها التى تعنى التخلّى عن طابعها المنهضى الضيق والخروج الى أفق الاخوة الاسلامية الواسعة . واستمرار مصر الفاطمية في مبادراتها هذه ارهاص افاقة . ويبدو أن السلاجقة حكام دمشق السنية ، أستجابوا لهذه المبادرة - هذه المرة - من حيث المبدأ - ويفهم مما ذكره ابن القلانص أن السلاجقة في دمشق هموا بانفاذ عسكر استجابة للمبادرة الفاطمية ولكن (عاقت عن مسيره أسباب حدثت) (٨٤) ومع أن مصادر البحث لم تذكر شيئا عن طبيعة تلك الاسباب التى حالت بين دمشق السلجوقية وبين ارسال عسكر يقاتل الى جانب القوات الفاطمية ، فإن اطلاق تلك المصادر كلمة (الجهاد) على الجهود الحربية التى قام بها أنفاطميون هذه السنة يمكن اعتباره : ارهاص افاقة ، فلأول مرة تستخدم كلمة (الجهاد) في هذه الجهة من جبهات المواجهة للخطر الصليبي . واكتفى الفاطميون من جهودهم في هذه السنة بتموين ما تبقى لهم من موانئ على الساحل الشامى مثل عكا وصور وصيدا وغيرها (وكانت الاسعار بها قد ارتفعت والاقوات قد قلت فصلحت بما وصل مع الاسطول من القلة ورخص الاسعار) (٨٥) .

ه - المحاولة الخامسة (معركة الرحلة الثالثة أغسطس ١١٠٥م)

جاءت هذه المحاولة نتيجة لاحداث ١١٠٤ ففجها أستولى الصليبيون على ميناء عكا (٢٦ مايو ١١٠٤م) بعد حصار دام ما يقرب من عشرين يوما . والذى يتصل بالبحث من أخبار أستيلاء الصليبيين على عكا ، أن بلدوين الاول ملك بيت المقدس أستعان بأساطيل مدن ايطاليا التجارية وفي طليعتها أساطيل جنوة وبيزة في تحقيق الاطماع الصليبية وذلك مقابل امتيازات تجارية تمنح لهذه الجمهوريات التجارية في الموانئ التى تسهم في أنتزاعها من المسلمين (٨٦) . وكان لاستيلاء الصليبيين على عكا أثره في موقف دمشق السنية ، فإن عكا ميناء من موانئ الساحل الهامة بالنسبة لتجارة دمشق . والجدير بالذكر أيضا أن رالى عكا من قبل الفاطميين واسمه : زهر الدولة الجيوشى دافع عنها هو والحامية الفاطمية وسكانها من المسلمين حتى عجزوا عن الاحتفاظ بها ، مما يدل على أنهم لم يقصروا في الدفاع والمقاومة في حدود الامكانيات المتاحة لهم ، ولم يقتحمها عليهم العدو ويدخلها عنوة وانما أستولى عليها صلحا (٨٧) . وبعد استيلاء الصليبيين على عكا يشهر توفى دقاق السلجوقى أمير دمشق وألت السلطة فيها الى أتابكة طفتكين (٨٨) .

وفي صيف ١١٠٥م بعث الوزير الفاطمى الأفضل حملة بقيادة ابن له يدعى سناء الملك الحسين ، ولما وصلت الحملة الى عسقلان جدد الفاطميون مبادراتهم (وأرسلوا الى طفتكين أتابك دمشق يطلبون منه عسكرا) (٨٩) . واستجابت دمشق السلجوقية السنية هذه المرة للمبادرة الفاطمية ، نظرا لما سبق ذكره من أحداث العام الفائت . واستصوب طفتكين أتابك دمشق (فكرة المسير الى العسكر المصرى للاعتضاد على الجهاد) (٩٠)

واذا كان الباحث قد رأى اطلاق المؤرخين المسلمين كلمة (الجهاد) على الجهود الاسلامية ١١٠٣م ضد الصليبيين ارهاصا للافاقية الاسلامية فانه يرى في نص ابن القلانص - وهو مؤرخ دمشق السلجوقية الرسمي - على العمليات الحربية في هذه الحملة بقوله (للاعتضاد على الجهاد) يرى فيه تأكيدا للارهاص بالافاقية . وبمقت دمشق السلجوقية السنية أحد قادتها ويدعى : صباوة ، على رأس الف وثلاثمائة من الفرسان للاعتضاد على الجهاد مع القوات الاسلامية الفاطمية .

وفي أغسطس ١١٠٥م تقدمت القوات الفاطمية بقيادة سناء الملك الحسين بن الأفضل من عسقلان الى الداخل في فلسطين ، وانضمت اليها القوات السلجوقية القادمة من دمشق بقيادة صباوة والقادمة من شرقي الاردن عبر النقب . وأدرك بلدوين الاول ملك بيت المقدس الاخطار الماثلة في تحالف دمشق والقاهرة لأول مرة فحشد أقصى ما يمكن حشده من المقاتلين فرسانا ومشاة ، وبذل رجال الدين من الصليبيين أقصى ما يمكن بذله لاستثارة حماسة العامة في بيت المقدس . وتحركت حشود الصليبيين يتقدمهم البطريق حاملا الصليب الاعظم (٩١) . وفي ٢٧ أغسطس التقى الطرفان عند مدينة الرملة ، ودارت معركة أجمعت المصادر الاجنبية على أنها كانت شرسة ، وعلى أن القتال فيها كان قتالا ضاريا ، واعترفت تلك المصادر بأن المسلمين استماتوا في القتال هذه المرة أكثر مما عهد منهم في المارك التي سبقتها (٩٢) . وكذلك أجمعت المصادر الاسلامية - وأقرتها في ذلك المصادر الاجنبية - على أن أيا من الفريقين المتقاتلين لم يكن ليجرؤ أن يدعى النصر لنفسه (٩٣) . وأحجم كل من الطرفين عن تعقب الطرف الآخر عند عودته من ميدان المعركة الى بلاده .

ان التحول الذي طرا على موقف مصر الفاطمية من الخطر الصليبي ، أول مجيئه الى المشرق ، حتى هذه المحاولة ارهاصا لافاقية نحو الخطر الصليبي . ان الفاطميين الذين ظنوا أن الصليبيين مرتزقة في خدمة المصالح البيزنطية ، يمكن الاستفادة منهم في دفع خطر السلاجقة أهل السنة ، بدأوا يفتحون عيونهم على طبيعة ذلك الخطر وكنهه ، وامتشقوا الحسام ، ونزلوا الى الميدان ، وتجرأوا على العدو الذي أعتقدوا أنه لا يقهر وقاتلوا ، وقتلوا ، وداموا على ذلك بضع سنوات . ومهما يكن من أمر المحاولات الفاطمية - التي ذكرت - ومدى تأثيرها على المجرى العام لاحداث الحركة الصليبية ، على المدى القريب أو البعيد لتلك المحاولات ، فالذي لا شك فيه هو أن القارئ وقف على مظاهر ذلك التحول ، وعلى التحسن الآخذ في الازدياد بالنسبة للفاطميين كمقاتلين في الميدان ، أو كرجال سياسة على استعداد للتخلي عن النظرة المذهبية الضيقة ، والارتفاع الى رحاب الاخوة الاسلامية الواسعة .

٤ - تحالف سقمان بن ارتق وجكرمش على الجهاد ٥٤٩٧هـ - ١١٠٤م (موقعه

حصن حوان صيف - ١١٠٤م) .

قام هذا التحالف بين سقمان بن ارتق التركماني صاحب حصن كيفا ، في ديار بكر ، وبين جكرمش أمير الموصل وبلاد الجزيرة (٩٤) . وكان هذان الاميران يغوضان صراعا دب بينهما طيلة السنوات الثلاث التي سبقت قيام تحالفهما هذا . وفي أثناء

هذا الصراع قتل جكرمش واحدا من أبناء اخوة سقمان ، وانتهى الصراع بينهما بأن استقر سقمان في اماره حصن كيفا بديار بكر ، واستقر جكرمش في حكم الموصل وبلاد الجزيرة (٩٥) . وكان هذا الصراع امتدادا للصراع والتطاحن بين السلطان بركياروق وبين اخيه محمد علي منصب السلطنة العظمى . ويصور ابن الاثير هذه الحالة ٤٩٧ - ١١٠٣م بقوله (واتفق . . . اشتغال عساكر الاسلام وملوكه بقتال بعضهم - بعضا ، فتفرقت حينئذ بالمسلمين الاراء ، واختلفت الاهواء ، وتمزقت الاحوال) (٩٦) . ولم يكن الصراع والتطاحن بين الفرع السلجوقي بالشام - سنتند - أقل منه بين السلاجقة بالعراق وبلاد الجزيرة وديار بكر ، ففي تلك السنة كان دقاق أمير دمشق وأخوه رضوان ملك حلب يقتتلان على تملك حمص ونواحيها .

ومن الطبعي أن يجتهد العدو الصليبي في استغلال الصراع والتطاحن بين المسلمين في العراق والشام بغية التمكين لنفسه ، خاصة وقد استرد بوهيمند الصليبي ، أمير أنطاكية ، حريته بعد أن أطلق ابن الدانشمند سراحه ، في نفس السنة ٤٩٧ - ١١٠٣م . واستأنف بوهيمند نشاطه فاتصل باخوانه في اماره الرها واستقر الرأي على أن يقوم الصليبيون - في امارتى أنطاكية والرها - بمشروع يهدف الى تطويق رضوان ملك حلب وعزله عن بقية المسلمين تمهيدا للاستيلاء على حلب نفسها ، ثم مد النفوذ الصليبي شرقا نحو بلاد الجزيرة والموصل ، يريدون بذلك تقطيع أوصال المسلمين بالعراق والشام وآسيا الصغرى ، ومن ثم يمكنهم ضرب بغداد قلب العالم الاسلامي السنى . (٩٨) وتمكن الصليبيون فعلا من الاستيلاء على بعض الحصون والنواحي التابعة لحلب في الشمال والشرق ، ومن ثم تطلعوا الى الاستيلاء على مدينة حران الاسلامية باعتبار أنها تمثل حجر الزاوية في مشروعاتهم (فهي على طريق الموصل والشام والروم) (٩٩) وتقع حران على الجانب الشرقي لنهر بانج - أحد روافد الفرات - على بعد ٢٥ ميلا الى الجنوب الشرقي من مدينة الرها . وفي ربيع ٤٩٧ - ١١٠٤م التقت قوات أنطاكية الصليبية يقودها بوهيمند ومعه قريبه طنكريد ، بالقوات الصليبية في الرها يقودها أميرها بلديون دى بورج ومعه قريب له يدعى جوسلين (١٠٠) . وتحركت القوات الصليبية بقيادة أمير الرها وأمير أنطاكية صوب حران تريد الاستيلاء عليها . وأدرك سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا وجكرمش أمير الموصل وبلاد الجزيرة ، ما يهدف اليه الصليبيون ، فدنا أحقادهما وتنافسهما ، وتراسلا بغية الاتحاد والتحالف ، وأخبر كل منهما صاحبه (أنه قد وهب نفسه لله تعالى وثوابه) (١٠١) وهذه أول مرة تذكر فيها مصادر البحث العربية تحالفا بين حكام من المسلمين لمواجهة التحدي الصليبي ، يرتفعون فيه فوق المصالح الشخصية ، ويبتفون من ورائه ثواب الله وحده ، ويعلمون استعدادهم للاستشهاد في سبيل ذلك .

وتحركت القوات الاسلامية المتحالفة لمواجهة الخطر الصليبي المحدق بمدينة حران ، فقد كان الصليبيون وصلوا اليها أوائل مايو ١١٠٤م . والجدير بالذكر أن القوات الاسلامية المتحالفة اشتملت ، لأول مرة ، على مقاتلين من الاكراد الى جانب اخوانهم في الاسلام من مقاتلي العرب والأتراك وهذه خطوة على طريق وحدة الشعوب الاسلامية في المشرق في حمل السلاح لمواجهة الخطر المشترك (١٠٢) . ووصلت القوات الاسلامية المتحالفة الى حران في الوقت المناسب ، وصلت عشية ليلة أرجا المدفونها تسلم المدينة حتى

الصباح ، وهذا في حد ذاته جدير بالاعتبار ، فقد رأينا القوات الاسلامية تصل - أول مجيء الصليبيين - لانقاذ مدينة مثل بيت المقدس بعد فوات الاوان (١٠٣) . وأجبرت القوات الاسلامية المتحالفة الصليبيين على الابتعاد عن حران (واستدراجهم في بركة . . وسدوا في طريقهم المنافذ ، ثم عطفوا عليهم فقتلوا من الفرنج الخلق العظيم ، ومات الباقون عطشا) على حد تعبير واحد من مؤرخي المسلمين المعاصرين لتلك الاحداث عرف عنه شدة الایجاز فيما يكتب (١٠٤) والقدرة على استدراج العدو الى حيث يمكن ابادته خبرة بدأ المسلمون يعاودون ممارستها وبنجاح . (١٠٥) .

حدثت موقعة حران يوم ٧ مايو ١١٠٤م وفيها قضت القوات الاسلامية المتحالفة على القوات الصليبية التابعة لامارة الرها قضاء تاما ، ووقع بلدوين دى بورج أمير الرها وقريبه جوسلين في الاسر . والذي لله صلة بالبحث من أخبار التحالف الاسلامي هذا ، وانتصاره يوم حران ، أن نزاعا دب بين أتباع كل من سقمان بن أرتق وجكرمش ساعة الانتصار ، على مصير الاسرى والاسلاب - وهذا من الامور المألوفة آنذاك سواء أكانت القوات المنتصرة من المسلمين أم من غيرهم - وكاد هذا النزاع أن يؤدي السى القتال بين القوات الاسلامية المتحالفة ، ولكن سقمان بن أرتق تمكن من اصلاح ذات البين قائلا لرجالہ (لا يقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بفهم باختلافنا ، ولا أوشر شفاء غيظي بشماتة الاعداء بالمسلمين) (١٠٦) .

وقد وضع سقمان بقوله هذه القضية الاسلامية في موضعها الصحيح : انها قضية المسلمين في مواجهة التحدى الصليبي ، وفي سبيلها تجب التضحية بالمصالح الشخصية ، وهذا ما فعله سقمان افاقة منه . وبعد أن تخطى سقمان ألفتنه عاد الى بلاده ، واستغل جكرمش الانتصار في موقعة حران فاستولى على بعض النواحي التابعة لامارة الرها الصليبية ثم توجه لمحاصرة مدينة الرها نفسها ، وحاصرها ما يقرب من نصف شهر ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها لان بوهميند وطنكريد كانا قد أسرعوا في التوجه اليها واعداد العدة للدفاع عنها . (١٠٧) .

وفي طليعة النتائج التي ترتبت على انتصار التحالف الاسلامي في موقعة حران هذه ، القضاء على المشروع الصليبي الذي كان يهدف الى تمزيق الاتصال بين المسلمين في الشام والعراق وآسيا الصغرى ، فقد تحول العدو - بعد يوم حران - من سياسة الهجوم الى الدفاع وذلك بعد أن تحتم على الصليبيين في امارة أنطاكية تحمل أعباء المحافظة على امارة الرها التي خسرت فرسانها ووقع أميرها في الاسر . وكذلك نجحت حلب الاسلامية من أخطار تطويق الصليبيين لها ، بل أن ملكها السلجوقي رضوان تشجع ساعة هزيمة الصليبيين في حران ، فاسترد معظم الحصون والنواحي التي كان العدو قد استولى عليها شمال حلب وشرقها ، كما أغارت قواته على بعض الحصون والاماكن ما بين حلب غربا حتى قرب مدينة أنطاكية نفسها (١٠٨) . ونتيجة لهذا وذاك وجد بوهميند نفسه مضطرا - بعد موقعة حران ببضعة أشهر - الى مغادرة أنطاكية والتوجه الى أوربا ليحشد مقاتلين جددًا من حملة الصليب (١٠٩) .

وفي خريف ١١٠٤م غادر بوهميند أنطاكية الى أوربا ، بعد أن عهد الى قريبه طنكريد بالدفاع عن الصليبيين في امارتي أنطاكية والرها معا ، وهكذا أفلح تحالف سقمان بن أرتق وجكرمش ، وانتصار المسلمين يوم حران في القضاء على ما أراده العدو ، بل أن هذا التحالف وذلك الانتصار زعزعا كيان الصليبيين في أنطاكية والرها

ورفما من معنوية المسلمين وأعادوا اليهم الثقة بأنفسهم - ولو الى حين - وقد عبر ابن القلانيس عن ذلك بقوله (وكان نصرا حسنا للمسلمين لم يتهيا مثله ، وبسه ضعفت نفوس الافرنج وقلت عدتهم ، وقلت شوكتهم وشكتهم ، وقويت نفوس المسلمين وتباشروا الناس بالنصر) (١١٠) يقصد نصر المسلمين يوم حران .

وتناولنا للتحالف الاسلامي بين سقمان بن أرتق وبين جكرمش ، وانتصار المسلمين يوم حران اقتصر - جهد الطاقة - على ما يمكن اعتباره مقدمة لافاقة المسلمين نحو الخطر الصليبي ، وايدانا بتلك الافاقة ، أما ما عدا ذلك من أحداث هذا التحالف وارتباطه بالتاريخ العام للصليبيين في امارتي أنطاكية والرها آنذاك ، وأخبار موقعة حران ، وأعداد القوات التي اشتركت فيها من الجانبين ، وتقسيم تلك القوات أثناء القتال ، وخطط كل من المسلمين والصليبيين ، والكمائن وعمليات الكر والفر والغسائر التي تكبدها العدو ، كل ذلك تناولته مصادر البحث بالتفصيل والتعميم (١١١) .

ويمكن القول انه كان من نتائج تحالف سقمان مع جكرمش ، وانتصارهما في موقعة حران ، أن طفتكين أتاك دمشق شعر بما يمكن أن نعتبره مقدمة لافاقة نحو الخطر الصليبي وايدانا بتلك الافاقة ، ذلك أنه بعد انتصار الحلفاء من المسلمين يوم حران بشهر ، وتوفى دقاق السلجوقي أمير دمشق ، وتولى طفتكين منصب الاتابكية فيها (١١٢) - واتفق أن مرض طفتكين - بعد ذلك مباشرة - مرضا خيف منه على حياته ، فكتب الى سقمان بن أرتق يستدعيه من ديار بكر (ليوصى اليه ويعتمد في حماية دمشق عليه) (١١٣) واتخاذ طفتكين لقراره هذا ، يعتبر في حد ذاته مقدمة لافاقة وايدانا بها ، فطفتكين أول من يعلم ما في قرارة هذا من خطورة على مكانته الشخصية ، وكونه يخاطر بمستقبله في سبيل المصلحة العامة للمسلمين دليل على أنه بدأ يفتح عينيه على طبيعة الخطر الصليبي . ان طفتكين يفضل أن تبقى دمشق اسلامية حتى ولو آل حكمها الى غيره من المسلمين ، على أن يستولي عليها الصليبيون أو أن يبقى هو في حكمها تحت رحمتهم (١١٤) ومهما يكن من أمر فإن سقمان بن أرتق أسرع في الاستجابة الى ما طلبه طفتكين ، ولما اقترب من دمشق أشد عليه - هو أيضا - مرض كان يلازمه . وأشار أصحاب سقمان عليه بالرجوع الى حصن كيفا ، عندما ازدادت شدة المرض ولكنه أجابهم (بل أسير فان عوفيت أتممت ما عزم عليه . ولا يراني الله تناقلت عن قتال الكفار خوفا من الموت ، وان أدركني أجلى كنت شهيدا سائرا في جهاد) (١١٥) وشاء الله أن يلقاه سقمان شهيدا سائرا في جهاد ، فقد أدركته المنية وهو على مشارف دمشق في المحرم ٤٩٨ هـ (اكتوبر ١١٠٤ م) .

وبعد فان الامة الاسلامية واجهت - في الصليبيين منذ مجيئهم الى المشرق ٤٩٠ - ١٠٩٧ م - تحديا شرسا وضاريا ، وصبرت ، وصابرت ورابطت في مواجهته حتى أفلحت في قلع جذوره وتطهير الارض الاسلامية منه ، وذلك بعد مائتي عام . ومرت الامة الاسلامية في مواجهتها للتحدي الصليبي بمراحل أولها . ما يمكن اعتباره : اراصاصات او مقدمات تؤذن بالافاقة ، وهذه المرحلة هي التي ذكرنا مشاهد او مواقف منها في هذا البحث . وأمتنا الاسلامية تواجه الان تحديا لا يقل في شراسته وضراوته عن التحدي الصليبي ، ونعني بذلك التحدي الصهيوني والله أسأل أن تكون امتنا قد مرت بمرحلة الاراصاصات وبدأت مرحلة الافاقة الحققة .
والله ولي التوفيق

تعليقات وحواش

(١) انظر حاشية رقم (٢٩)

٢ - كانت الرها ، عند قدوم الحملة الصليبية المروفة بالاولى ، خاضعة لحاكم ارمنى اسمه ثوروس ، واعتقد ثوروس ، ونظراؤه من امراء الارمن المتغلبين على بعض المدن والحصون في بلاد الجزيرة ومرتفعات طوروس ، ان الصليبيين نجدة بمشتها لهم الساء . ولما كان ثوروس يتعرض لتهديدات من جيранه المسلمين ، فانه بحث الى امراء الحملة الصليبية - وهى في طريقها عبر اسيا الصغرى الى الشام - يطلب الملون لدفع خطر جيранه المسلمين . وانتهر احد اولئك الامراء وهو بلدوين دى بويون الفرصة فانفصل في بعض اتباعه عن اخوانه ، وخف الى الرها وفي نيته التمكين لنفسه واقامة اماره ان امكنته الفرصة . وفي الطريق تمكن بلدوين وصحبه فعلا من انتزاع بعض المدن والحصون من حكامها المسلمين . ووصل الى الرها فاستقبله اهلها من الارمن استقبال المخلصين ، ورحب به اميرها واتخذة ابنا . واشتركت قوات بلدوين الصليبية مع قوات امير الرها الارمنية في بعض العمليات الحربية بغية الاستيلاء على مدينة سمساط ، ولكنها فشلت في تحقيق هذه المهمة . وتبادل الطرفان التهم والتي كل منهما اللوم على الطرف الاخر . وهنا اصبح بلدوين عن نوايا فقتل ثوروس وتولى هو حكم مدينة الرها في مارس ١٠٩٨م (ربيع ثانى ٤٩١هـ) . وهكذا قامت نواة اول اماره صليبية في الشرق الاسلامى ولم يتمكن بقية الصليبيين بعد ، من الاستيلاء على انطاكية .

واجتهد بلدوين في توسيع املاكه حول مدينة الرها وتحويلها الى اماره اصبحت يمرور الزمن اسفينا في قلب العالم الاسلامى يفصل ما بين اجزائه في العراق وما يليه شرقا وبين اجزائه فسى الجزيرة وبلاد الشام والاناخول . انظر التفاصيل في
Matthieu d, Ed. pp 3
Barker; p. 17, Michaud, T. I. pp. 62 — 3
Chalandon : 1er Croisade . pp. 172 — 174.
Anonymous Syr, p. 70. 71, 30, 36, 37

وفيما يتعلق بالرها وموقعها واهميتها. والمناطق التابعة لها ، انظر القلقشندي ٤-١٣٨ وابسن الشحنة (ص ٢٠١) . ومجمع البلدان ٤ - ٢٤٠ .

وفيما يتعلق بمدينة سمساط ، يقول ابن الشحنة (ص ١٩٨) (مدينة صغيرة على شاطئ الفرات من غربية ، في طرف الروم شرقى جبل اللكام ، ولها قلعة حصينة في شق منها ، تسكنها الارمن) .

وانظر ايضا ابن النديم : بنية الطلب (ص ٣٠٤) وبين سمساط وملطية ١٦ فرسخا .

٣ - اماره انطاكية الصليبية : انطاكية ميناء على ساحل الشام غربى حلب ، وكانت ثغرا من ثغور المسلمين الهامة عندما امتد اليها النفوذ الاسلامى ، اواخر خلافة عمر رضى الله عنه (١٣ - ٢٣) = ٦٣٤ - ٦٤٤م . ولما استقر النفوذ الاسلامى في بلاد الشام ، وامتد الى ما وراء مرتفعات طوروس ،

غدت انطاكية عاصمة من أهم العواصم الاسلامية ، فيها قوات تمصم ما حولها من خطر العدو . وظلت انطاكية في ايدي المسلمين حتى استولى عليها الروم ٣٥٨-٩٦٩م ثم استرد سليمان بن قنطاش - زعيم السلاجقة بالروم - دوقية انطاكية . وظلت انطاكية والنواحي التابعة لها في ايدي المسلمين حتى قدمت الحملة الصليبية المعروفة بالاولى ، وحاصرتها صيف ٤٩١-١٠٩٨م وتمكن احد زعماء الصليبيين واسمه بوهيمند النورمانى من الاستيلاء على مدينة انطاكية ، في يونيو من تلك السنة ، بفضل خيانة سكانها من الارمن ، وصمدت قلعة انطاكية والحامية الاسلامية فيها . وبعث السلطان السلجوقى بركياروق (٤٨٥ - ٤٩٨ = ١٠٩٢ - ١١٠٥م) جيشا كثيفا يقوده واحد من كبار قادته ، اسماه كربوغا لانقاذ انطاكية .

وامر السلطان بركياروق ملوك المسلمين وامراءهم في الشام ، وبلاد الجزيرة بالانضمام الى كربوغا ، وفعلوا انضم اليه رضوان ملك حلب ، واخوه دقاق امير الشام - وهما يمثلان الفرع السلجوقى بالشام - فضلا عن عدد من امراء السلاجقة والمسلمين . وحاصرت القوات الاسلامية المتحالفة مدينة انطاكية ، ولكن كان ينقص هذه القوات الاسلامية وحدة الهدف ، ووضوح الرؤية وادراك ان الخطر مشترك ، ولهذا تمكن الصليبيون من اختراق الحصار المضروب عليهم ، والخروج من مدينة انطاكية حيث خاضوا معركة انتصروا فيها على كربوغا وحلفائه من المسلمين في يونيو سنة ١٠٩٨ . وعبر المؤرخون من المسلمين عن عدم افاقة اخوانهم للخطر الصليبي تعبيراً واضحاً فقال المظيى (ص٢٧٣): وخرج اليهم الفرنج وهم في الغاية من الضعف والمسلمون في القوة ، فانكسر المسلمون لسوء نياتهم . ويزيد ابن الاثير (الكامل ١٠-١٥) هذه الحقيقة وضوحاً فيقول : (وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب احد منهم بسيف ، ولا طعن برمح ، ولا رمى بسهم) وانظر ايضا ابن القلانص (ص ١٣٦) وكمال الدين ابن النديم (منتخبات ص ٥٥٣) .

واجتهد بوهيمند النورمانى في توسيع امارته الناشئة بانطاكية . وفي اقل من عامين تمكن من الاستيلاء على عدد من الحصون والاماكن التابعة لانطاكية في حوض نهر العاصى الادنى ، وعلى الساحل وذلك بفضل مساعدة اساطيل جمهوريات مدن ايطاليا التجارية : جنوة ، البندقية ، وبيزا . وتطلع بوهيمند الى اقتطاع بعض النواحي التابعة لرضوان ملك حلب ، شرقى نهر العاصى ، ونجح في ذلك . واغراه هذا النجاح بالزحف ، صيف سنة ١١٠٠ لمحاصرة حلب نفسها (انظر ابن النديم : منتخبات ص ٥٨٨ - ٩) . وهكذا غدت اماره انطاكية الصليبية الناشئة ، حقيقة واقعة ، وغدا اميرها بوهيمند مصدر خطر على جيرانه المسلمين .

فيما يتعلق بمدينة انطاكية وموقعها وسورها وقلعتها انظر القلقشندي ٤ - ١٢٩ .

٤ - ملكة بيت المقدس

اطلقت هذه التسمية - ايام الحركة الصليبية - على الاملاك الصليبية في فلسطين . وكانت مدينة بيت المقدس وفلسطين كلها من املاك الدولة الفاطمية حتى خلافة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧-٤٨٧هـ = ١٠٣٥-١٠٩٤م) ، وفي خلافته امتد الخطر السلجوقى الى بلاد الشام ووصل الى فلسطين . واقطع السلاجقة واحدا من كبار قادتهم ومقدمهم ويدهم ارتقى بن اكسك مدينة بيت المقدس . ولما وصلت الحملة الصليبية المعروفة بالاولى الى بلاد الشام اوائل ١٠٩٨ واستولت على انطاكية صيف ذلك العام سارع الفاطميون فاستردوا مدينة بيت المقدس من حكامها الارابطة . وفي صيف ١٠٩٩ حاصر الصليبيون

مدينة بيت المقدس وصمدت حاميتها الفاطمية ، وحاول الفاطميون ارسال حملة لانقاذها ولكن المدو تمكن من الاسراع في الاستيلاء عليها وذلك في شهر يونيو .

وتمكن الصليبيون في اقل من عام (يوليو ١٠٩٩ الى يوليو ١١٠٠) من مد نفوذهم على كثير من الاجزاء الداخلية في فلسطين وذلك برئاسة واحد من زعمائهم هو جودفري دى يويون ففى سنة زهاستسه هذه تمكن هو ونظراؤه من قادة الصليبية من الاستيلاء على الرملة واللد وعلى بيت لحم ونابلس ومدن الجنيل امثال طبرية وبيسان وغيرها ، وتمكن الصليبيون ستنئذ بفضل مساندة اساطيل جمهوريات ايطاليا التجارية ، جنوة والبندقية وبيزا ، من الاستيلاء على مينائى يافا وحيفا وكانتا من املاك الفاطميين ولجات الحاميات الفاطمية في كل من : ارسوف وقيسارية وعكا وعسقلان - وكلها ايضا من املاك الفاطميين - الى مداراة المدو بدفع جزية سنوية املا في ان تفيق مصر الفاطمية وغيرها من بلاد الاسلام وتوفى جودفري في يوليو ١١٠٠ فخلغه في رئاسة الصليبيين بنلسطين اخ له يدعى بلدوين . وبلدوين دى بويون هذا هو الذى اسس اماره الرها الصليبية قبل ذلك بستنين وظل اميرها حتى توفى اخوه فاستدعاه الصليبيون في بيت المقدس ونصبوه ملكا عليهم . (١١٠٠ الى ١١١٨) باسم بلدوين الاول . ومن ثم غلبت تسمية مملكة بيت المقدس على الاملاك الصليبية في فلسطين .

انظر : ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ج٢ ص ٨ Defremery ; B ; PP. 87, 88.

٥ - المقصود (بتسمية السلطنة السلجوقية العظمى) السلطنة التى اقامها طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق (٤٤٧ = ٤٥٥ = ١٠٥٥ - ١٠٦٣ م) وضمت العراق وما يليه شرقا من اقاليم الخلافة العباسية ، وذلك عندما أعلن الخليفة القائم العباسى (٤٢٢ = ٤٦٧ = ١٠٢١ - ١٠٧٥ م) طغرل بك هذا سلطانا في بغداد ، واتسع مدلول هذه التسمية على عهد خليفة طغرل بك وهو : السلطان الب ارسلان السلجوقى (٤٥٥ = ٤٦٥ = ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م) فاشتملت على الشام وارمينية وجورجيه وبلغت هذه السلطنة السلجوقية العظمى اقصى اتساعها على عهد ملك شاء بن الب ارسلان (٤٦٥ = ٤٨٥ = ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م) فضمت - زيادة عما سبق - معظم اراضي الروم باسيا الصغرى ، والاناضول كما مدت نفوذها على الحجاز واليمن . وقد عبر ابن الاثير (الكامل ١٠-٧٨) من مدى اتساع السلطنة السلجوقية العظمى على عهد ملك شاء بقوله (خطب له من حدود الصين الى آخر الشام ، ومن اقاصى بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن . وعبر سبط ابن الجوزى (المرأة ١٢-٢٠٤ ورقة ب) عن هذه الحقيقة بقوله ان السلطان ملك شاء (استقام له معظم الدنيا ، الا مصر والمغرب) هذا هو مدلول تسمية (السلطنة السلجوقية العظمى) في ذلك الوقت .

ويعتبر بلوغ السلطنة السلجوقية العظمى ما بلغته من اتساع وقوة ، على عهد ملك شاء السبب المباشر لقيام الحركة الصليبية ، اذ المعروف عند من يدرسون تاريخ هذه الحركة ان الامبراطور البيزنطى الكيسوس كومنين (١٠٨١ - ١١١٨) ارسل في ربيع ١٠٩٥ م يطلب من البابا اربان الثانى تبعة تساعده في دفع الخطر السلجوقى . وانتهاز البابا الفرصة فدعا اوربا الغربية ملوكا وامراء وشعوبا الى حمل الصليب لدفع الخطر الاسلامى . واستجابت اوربا الغربية لدعوة البابا للسبب الدينى ، ولاسباب اخرى اجتماعية واقتصادية ومسيحية .

Buckler : P. 460 ; Vasiliev ; T. II. P. 33 ; :

Fliche ; L. Europe ... PP. 602. 58 La chrétienté ; P. 12 ;

Heyd ; V. I. PP. 131 — 3 — , Oman ; V. I, P. 232., Lacroix; P. 114.

٦) كان السلطان طغر بك السلجوقي (٤٤٧ - ٤٥٥ = ١٠٥٥ - ١٠٦٣ م) قد اعلن غداة اعتراف الخليفة القائم المباسي (٤٢٢ - ٤٦٧ = ١٠٣١ - ١٠٧٥ م) به سلطانا في بغداد ، اعلن عزمه على توحيد العالم الاسلامي ، وذلك بالقضاء على الخلافة الفاطمية في مصر . وحاول الخليفة الفاطمي المستنصر (٤٢٧ - ٤٨٧ = ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) - بدوره - القضاء على سلطنة طغر بك والخلافة المباسية ، وبالرغم من ان المحاولة الفاطمية افلحت في اقامة الخطبة ببغداد ، وغيرها من مدن العراق ، للخليفة الفاطمي المستنصر ما يقرب من سنة ، بعد قيام سلطنة طغرل بك مباشرة الا انها اصبحت .

واجتهد السلطان الب ارسلان السلجوقي (٤٥٥ - ٤٦٥ = ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م) في تحقيق ما اراد سلفه ، ونمى بذلك محاولة توحيد العالم الاسلامي وذلك بالقضاء على الخلافة الفاطمية . ونجح السلاجقة ، على عهد الب ارسلان ، في انتزاع ما للفاطميين من املك في سوريا الجنوبية ، فاستولوا على دمشق ونواحيها ، كما استولوا على مدينة بيت المقدس ، واعمالها ، ولم يبق للفاطميين سوى السيطرة على الشريط الساحلي بما فيه من موانئ مثل : صور وصيدا وعكا وحيفا وقيسارية وعسقلان . وكانت السيادة الفاطمية على هذا الشريط الساحلي متمثلة في حاميات تمسك في الموانئ المذكورة ، وتأتيها الميرة والامدادات من مصر عن طريق البحر .

وبلغ من تهديد السلاجقة على عهد الب ارسلان للفاطميين ان واحدا من مخاطريهم اقترب باتباعه مهديا القاهرة نفسها . وكان لذلك كله اثره في المحنة التي اشتهرت في التاريخ الفاطمي بـ (الشدة المستنصرية) التي بلغت ذروتها (٤٥٥ - ٤٦٥ = ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م) وفي تلك الشدة انفرط عقد الامن في مصر ، نظرا للصراع بين طوائف الجند الفاطمي ، من اترك ومغاربة وهرب وسودان ، وسواهم من المرتزة وخاصة الارمن . وسيطرت كل طائفة على ناحية من نواحي القطر ، وانعدم الاهتمام بوسائل الرى فتوالى القحط وعمت المجاعات وتتابعت ، ووصلت سلطة الخليفة الى الضياع . والجدير بالملاحظة ان السنوات التي بلغت فيها الشدة المستنصرية ذروتها هي نفس السنوات التي تسطن فيها الب ارسلان السلجوقي ، مما يؤكد وجود علاقة بين هذه الشدة وبين جهود السلاجقة لهدم الفاطميين .

واخذت الشدة المستنصرية في الزوال تدريجيا ، عندما عهد الخليفة المستنصر بالوزارة الى يسدر الجمالي (٤٦٥ - ٤٨٧ = ١٠٧٣ - ١٠٩٤ م) ومن ثم بدأ عهد الوزراء النظام في تاريخ الدولة الفاطمية ، وهو العهد الذي جمع الوزراء - اثناءه - السلطة في ايديهم وسيطروا الى حد كبير على مصير الخلفاء الفاطميين . وقد تركت الشدة المستنصرية انطباعاتها على قوة مصر الفاطمية حتى بداية الحركة الصليبية ، كما كان لها اثرها على موقف الفاطميين من تلك الحركة اول قيامها .

انظر التفاصيل في : ابن الاثير ٢٥٤-٩ ، ٢٦١ ، ابن الجوزي ١٧٢-٨ و ١٧٣ و ٢٨٩-٩ ، المؤيد في الدين ص ١٣٥ ، ابن ميسر ٢٢-٢ - ٢٥ ، ابن الصيرفي ص ٥٦ ، الياقبي ٩٤-٤ .

٧) الفرع السلجوقي بالروم ، يقصد منه الدولة السلجوقية التي تفرعت من السلطة السلجوقية العظمى وهذه الدولة اصطلح على تسميتها بـ (السلطنة السلجوقية بالروم او (السلاجقة بالروم) وذلك لانها قامت على ارض اغريقية في الاناضول وآسيا الصغرى . واصل قيامها ان البيت السلجوقي - وهو يقيم سلطنته العظمى - عهد الى ابنائه مهمة المشاركة في اقامة تلك السلطنة . وعهد طغرل بك الى ابن عمه : قطلмыш بن اسرائيل بن سلجوق مهمة مد النفوذ السلجوقي على ارمينية وما قرب منها ، وذلك حوالي ٤٤٠-١٠٤٨ م واجتهد قطلмыш في تحقيق هذه المهمة ، وامتدت اعمال قواته الى نواح من

ارض الروم المجاورة الارمنية وخشى السلطان السلجوقي الاعظم : الب ارسلان من نفوذ قتلش الأخذ في الازدياد ، وتطلع قتلش الى منصب السلطنة السلجوقية العظمى ، فنشب قتال بينه وبين السلطان الب ارسلان انتهى بمقتل قتلش ٤٥٦-١٠٦٤ م . ووقع سليمان بن قتلش في قبضة السلطان الب ارسلان فتحوط عليه وابقاه بعيدا عن المجال الذي كان يعمل فيه والده . وفي ٤٦٣ - ١٠٧١م اطلق السلطان الب ارسلان سراح سليمان وعهد اليه استئناف الجهود السلجوقية على حساب الروم . وافلح سليمان واتباعه من الغزاة في اقتطاع اجزاء كبيرة من بلاد الروم ، وبعد عشر سنوات تقريبا اعترف به الامبراطور الكيسوس حاكما على المناطق التي اقلعها .

وتطلع سليمان بن قتلش الى منافسة ابنه عمومته من الفرع السلجوقي بالشام فلقى مصرمه ٤٧٩-١٠٨٦م ووقع ابنه قلج ارسلان اسيرا وتسلمه السلطان الاعظم ملك شاه ثم توفى ملك شاه ٤٨٥-١٠٩٢م وخلفه ابن السلطان بركياروق (٤٨٥-٤٩٨ = ١٠٩٢-١١٠٥م) فاطلق سراح قلج ارسلان واعاده الى بلاده . وقلج ارسلان هذا هو الذي كان يتزعم الفرع السلجوقي بالروم اول مجيء الصليبيين . انظر ابن القلائس ص ١٩٩ .

Bar Hebraeus; P. 330.

البغدادى ٢ - ٣٢٠ .

٨) قامت امارة الدانشمند اثناء التوسع السلجوقي على حساب الروم . واستطاع اميرها ابنشمن الدانشمند ان يقطع لنفسه اقليم قبدوقية ، في الشمال الشرقي من الاناضول ، حيث نهر قزل ارمق ، وكانت قاعدة هذه الامارة مدينة سيواس . ومن الطبيعي ان يحاول الفرع السلجوقي بالروم فرض سيطرته على هذه الامارة . ومن الطبيعي ايضا ان يفضل امراء الدانشمند الاعتراف بسيادة السلطنة السلجوقية العظمى في اصفهان - نظرا لبعد مقر سلطانها ، ورحب سلاطين السلاجقة العظام - بدورهم - بذلك ابقاء على التوازن بين القوى السلجوقية التي من المفروض ان تكون تابعة لهم ، وانتهجت امرة الدانشمند - منذ البداية - سياسة التسامح الدين مع رعاياها المسيحيين ، من الارمن والصورىان والبيزنطيين وغيرهم ، على اختلاف مذاهبهم حتى اعتقد بعض الارمن ان مؤسس هذه الاسرة ارمنى الاصل - وابن الدانشمند كان ثانيا اثنين من حكام السلاجقة المسلمين بالروم اول مجيء الصليبيين .

Macler; P. 1, 7 , Vahram ; PP. 26 — 8

انظر التفاصيل في

Matthieu d. Edesse, P. 51, N. 3, Michel Le Syrien; T. III. P. 173,

Wittek; P. 20.

وعن سيواس قاعدة امارة الدانشمند يقول القلقشندي ٣٤٩-٥ و ٣٥٠ ان (سيواس من امهات البلاد ، مشهورة على السنة التجار . وهى في بسط من الارض ٠٠٠ وهى بلدة كبيرة مسورة ، وبها قلعة صغيرة ذات اعين ، والشجر بها قليل ، ونهرها الكبير بعيد عنها بمقدار نصف فرسخ ، ويقول المسافرون ان فيها اربعا وعشرين خانا للسبيل ، وهى شديدة البرد وبينها وبين قيسارية ستون ميلا .

٩) انظر تفاصيل الصراع بين السلطان الطفل محمود بن ملك شاه وبين اخيه بركياروق على منصب السلطنة في : البندارى ص ٧٦ الحسينى ص ٧٤-٧٥ ، ابن الجوزى ٩-٦٢ ، ابن الاثير Brown; P. 36 & Defre mery : Recherches .. ١٠ - ٨٨ ، ٩٣ .

PP. 240 — 1, 275 — 6.

(١١) الحشاشون ، هم فرقة او طائفة من فرق الشيعة المفاشية في التطرف ، والتي ترى في الاغتيال افضل وسيلة للتخلص من معارضيها . ومن ابرز دعائهم في عهد السلاجقة : احمد بن عبد الملك عطاش الذى استطاع ان يستولى على قلعة كان قد بناها السلطان ملك شاه خارج عاصمة سلطنة اصفهان . ومن هذه القلعة بث اجمد هذا واعوانه الرعب بين سكان عاصمة السلاجقة . ومنهم ايضا الحسن بن صباح الذى استولى بدوره على قلعة (الموت) الشهيرة في اقليم قزوين ، ومن هذه القلعة بث هو واعوانه الرعب في الجهات النجاورة . وقد انضم الى هؤلاء الدعاة كل ناظم على الخلافة العباسية او حاد على السلطنة السلجوقية ، حامية حتى اهل السنة . واجتهدت هذه الطائفة في تخريب السلطنة السلجوقية من الداخل ، وذلك في وقت كان الصليبيون فيه على وشك المجيء الى الشرق لأول مرة . وكان دعاة هذه الطائفة يعملون بتوجيه من الخلافة الفاطمية في مصر في صراعها - صراع الحياة او الموت - مع الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية السنية . انظر ابن الاثير ١٠-١٣١ = ٤ وابسن الجوزى ٩-١٠٣ و ١٢٢ والبندارى ص ٦٢

(١٢) الكامل في التاريخ ١٠-١٥٤ .

(١٣) انظر محاولة السلطان بركياروق دفع خطر الصليبيين عن انطاكية عندما ارسل عسكريا يقوده كربوغا وذلك في التعليق رقم (٣)

(١٤) وردت اخبار حملة تغتور فوكاس على سوريا الشمالية ، واستيلاء البيزنطيين على انطاكية ، والمعاهدة التي عقدها مع الحمدانيين امراء حلب ، والتي تناولت الحدود بين دوقية انطاكية البيزنطية وامارة الحمدانيين في حلب ، وردت بالتفصيل في ابن العديم : زبدة الحلب ١-١٤٤ ، ١٥٨-١٦٧ .

(١٥) المقرئى ٣-١٠ وانظر ايضا ابو شجاع ص ١٨٥ .

(١٦) فيما يتعلق بموقف الحاكم بامر الله من المسيحيين في بيت المقدس وهدمه لكنيسة القيامة انظر : ابن خلكان ٢-١٢٦ ، ١٢٧ ، السيوطى ص ٤٤٧ .

William of Tyre, T. I. PP. 15 — 16

Brehier ; L. Eglise ... PP 36 — 37

Vasiliev : T, 1. P. 412

(١٧) وردت تفاصيل علاقات الفاطميين بالروم على عهد الخليفين الظاهر والمستنصر ، ومعاهدات الود والصداقة بين الجانبين ، والحرص على تجديدها من حين لآخر ، وردت بالتفصيل فى : ابن اياس ١-٥٨ ، ابن الاثير ٩-١٩١ ، ٢٢٥ ، الميمنى ٥-٨٥ ، الذهبى ٢٣-٢٣ ، ٢٤ .

(١٨) انظر التعليق رقم (٦)

Runciman : 1 st Crusade, P. 230, N. 1

(١٩) انظر

William of Tyre: T. 1. P. 191.

(٢٠)

Grousset: T. 1. P. 83

Runciman : 1 st Crusade : P. 229

(٢١)

(٢٢) انظر التعليق رقم (٣)

(٢٣) ذهب ضحية هذا الوباء كثير من الصليبيين وفرسانهم ، ومن ابرز ضحاياهم ادمير اسقف بيوى - ممثل البابا في رئاسة الحملة الصليبية . انظر التفاصيل في :

William of Tyre: T. 1. PP. 285 — 7

(٢٤) انظر التعليق رقم (٦)

(٢٥) كانت العلاقة بين رضوان السلجوقي ملك حلب ، وبين اخيه دقاق امير دمشق عدائية ، يسودها التوجس والخيفة ، شأنهما في ذلك شأن بقية ملوك السلاجقة وامرائهم آنذاك ، وادرك الصليبيون طبيعة العلاقة بين الاخوين فسموا الى استغلالها وطلبوا من امير دمشق الوقوف على الحياد واعلنوا انهم لا مطمع لهم في املاكه ، واوهموه ان عداءهم قاصر على اخيه ملك حلب وانهم انما استولوا على انطاكية لانها كانت حتى عهد قريب تابعة لبيزنطية . وكان بالشام ايضا بنومنقذ - وهم عرب - ولهم امارة قاعدتها شيرز . وكذلك كانت توجد امارة على الساحل قاعدتها طرابلس ، ويحكمها القاضي ابن عمار . وكانت العلاقة بين هاتين الامارتين اليربيتين وبين الفرع السلجوقي بالشام عدائية ، وراوا في مجيء الصليبيين قوة جديدة قد تحدث توازنا في القوى بالشام .

انظر تفاصيل ذلك في ابن الاثير ١١٥-١٠ ، ابن الشحنة ص ١٨٦ ،

Lamb : PP. 186 — 7 & Runciman : Vol. 1. PP. 267 — 9.

(٢٦) فيما يتعلق بالرأى القائل بالزحف نحو القاهرة للقضاء على الفاطميين

Runciman : Vol. 1. P. 277

Grousset : T. 1. P. 151

أولا : انظر

وفما يتعلق باستماتة الحامية الفاطمية والمسلمين سكان مدينة بيت المقدس في الدفاع عنها

انظر ابن الاثير ١١٧-١٠ ، ابو الحسن ١٤٨-٥ .

(٢٧) وردت اخبار المذبحة التي ارتكبتها الصليبيون عند استيلائهم على مدينة بيت المقدس ، وكذلك اخبار المهاجرين اللاجئين من المسلمين ، وردت مفصلة في : ابن القلائص ص ١٣٧ ، ابن الجوزي ٩-١٠٨ وشدور المقود ص ١٥٥ ، ابن الاثير ١١٧-١٠ ، ابن اياس ٦٢-١ ، ابن ظافر ١٥٦ (ب) .

(٢٨) ابن ظافر ورقة ٧٤ (ب)

(٢٩) جاء في لسان العرب ٧-٤٤ (والارهاص : الاثبات ، واستعمله ابو حنيفة في المطر فقال : واما الفرغ المقدن فان نواه من الانواء المشهورة المذكورة المحمودة النافعة لانه ارهاص للموسمى . قال ابن سيده : وهندى انه يريد مقدمة له وايدان به) .

ولي ١٠-٣١٨ (تقول : اتفاق ينيق افاقه وفاقا ، وكل منشى عليه أو سكوان معتوه اذا انجلى ذلك عنه قيل : لقد اتفاق واستفاق ٠٠٠ وفاق العليل افاقه واستفاق : نقه ، والاسم الفسواق ، وكذلك السكران اذا صفا ٠٠٠)

(٣٠) انظر ابن المديم : زبدة الحلب ١٤٤-٢

(٣١) كانت ملطية ، منذ أن دخلت في حوزة الاسلام اواخر خلافة عمر رضى الله عنه ، تعتبر من امهات الثغور الجزرية ، ومن اقربها الى بلاد الروم ، ومن اشدّها نكاية للكفار . وبذل الروم اكثر من محاولة لاستردادها ، وخربوها مرارا ، وافلح المسلمون في استعادتها وبنائها من جديد ، وشجعنها بالمرابطين والمقاتلين حتى ٣٢٢هـ - ٩٣٤م عندما استردها الروم . ومعظم سكانها ، وما حولها ، من الارمن وغيرهم من المسيحيين الشرقيين .

فما يتملق بملطية واهميتها كثر من ثغور المسلمين ، انظر : البلاذرى ص ٢٢١ ، اليعقوبى : البلدان ص ٣٦٢ ، الاصطخرى ص ٤٦ ، ابن الشحنة ص ١٩٥ - ٦ .

(٣٢) الكامل في التاريخ ١٠-١٢٤ ، انظر ايضا سبط ابن الجوزى : منتخبات ص ٥٢٢ .

(٣٣) كانت مرعش من الثغور الاسلامية المواجهة للروم ، وحرص المسلمون على الاحتفاظ بها وتجديد بنائها كلما اغار عليها العدو وخربها . وكان بوسطها حصن يمد من أمنع الحصون ، وهى قرية من درب الحدث المشهور في العمليات الحربية والغزوات بين المسلمين والروم . وظل المسلمون محتفظين بها حتى خربها الروم ٣٢٧هـ واعاد بناءها مبني الدولة الحمداني ٣٤١هـ ، ثم عاد الروم فاستولوا عليها بعد ذلك بسنوات قلائل . وللاستزادة انظر : البلاذرى ص ٢٢٤ ، ابن الشحنة ص ٨-٢٥ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، وكذلك ابن المديم بنية الطلب ص ٢٨٥ - ٧ .

(٣٤) يعتبره متى الرهاوى ص ٥٠ اميرا لامراء الارمن . وكان ثاتول يحكم مرعش من قبل الامبراطور البيزنطى منذ ١٠٩٧م .

(٣٥) ابن المديم : زبدة الحلب ١٤٥-٢

(٣٦) ابن القلائس ص ١٢٨ .

(٣٧) يذكر Barhebraeus : PP. 23 — 7 ان امراء الارمن المتغلبين على بعض الحصون والمواقع في مرتفعات طوروس كانوا يتوجسون خيفة من بوهيمند واطناعه ، وانهم اتصلوا فعلا بابن الدانشمند واطلموه على تحركات بوهيمند ، كما يذكران جبريل الارمنسى حاكم ملطية بدأ يخشى. مخبة استعانت بالامير الصليبي ، بعد أن وضعت اطماع ذلك الامير بالنسبة لصاحب مرعش الارمنى ، فاخذ يماطل ويعمل على تعويق وصول بوهيمند حتى يتمكن ابن الدانشمند من الايقاع به . ولا يستبعد Micheile Syr. , T. III — P — 188 ان يكون المسيحيون اتباع مذهب القسطنطينية قد اتصلوا بدورهم بابن الدانشمند للغرض نفسه ادراكا منهم لخطورة اطماع بوهيمند ضد الدولة البيزنطية . انظر : Grousset : T. I. P. 379, N. 3, 4.

(٢٨) وردت اخبار هذه الحملة بالتفصيل في William of Tyre : T. I. PP 416 — 418
 Chalandon : Essai ..., PP. 225 — 227 , Runciman , Vol II : PP. 18 — 21.
 Matthieu d, Edesse : PP. 56 — 58, Grousset : Hist, de Crois T. I 322—328
 Michaud : Hist. des Crois, T. I. PP. 130, 131, Lamb: PP, 241 — 243
 Oman ; vol I PP. 240 — 241

Chalandon : Eddai ..., P. 227 , Stevenson: Crusaders P. 75 (٢٩)

(٤٠) فيما يتعلق بالطرق في آسيا الصغرى انظر : Runciman 1 st, Crois PP 183 — 185 & 190.

Runciman , vol II. P. 21. (٤١)

Michaud: T. I, P. 130, Oman , vol. I: P, 241 (٤٢)

Runciman, vol, II, P. 24 (٤٣)

Oman, vol I, P. 241 (٤٤)

(٤٥) يقول القلقشندي ٣٥٤-٥ (انكورية بلد لها قلعة على تل عال وهي بين الجبال وليس بها بساتين ولا ماء ، وشرب اهلها من الابار ، وهي عن قسطنطينية في جهة الغرب على خمسة ايام .

(٤٦) من قونية يقول القلقشندي ٣٥٢-٥ وهي مدينة مضمورة ، وبها دار للسلطنة والجبال مطبقة بها من كل جانب ، وتبعد عنها من جهة الشمال وينزل من الجبل الجنوبي منها نهر يدخل اليها من غربيها ٠٠٠ وهي ثانية قاعدة مملكة السلجوقية ببلاد الروم .

(٤٧) تفاصيل حملة كونت نافار في : Oman, vol I, PP. 241 — 242

Runciman : vol II; PP. 25 — 27, Matthieu d' Ed. P 58,
 Michaud : T. I, PP. 131 — 132, Grousset; T. I, PP. 329 — 330,
 Lamb; P. 243, Chalandon: Essai ..., P 288

Grousset, T. I, P. 330 (٤٨)

Grousset, T. I P. 331, Schlumberger: Recits .. P. 61, (٤٩)
 Chalandon: Essoi .. Alexis P. 229.

(٥٠) تفاصيل هذه الحملة في Runciman ; vol II , PP. 27 — 29

Schlumberger; PP. 59 — 63, Oman, vol I, PP. 242 — 243.
 Chalandon: Essai .. PP. 228 — 229, Michaudi; T. I PP. 132 — 133.
 Grousset , T. I PP. 330 — 332

(٥١) الكامل في التاريخ ١٠-١٢٤ ويؤكد ابن الجوزي ٩-١١٤ ذلك قائلا (خرج الافرنج ٢٠٠٠٠٠٠ فهزيمهم المسلمون وقتلوهم فلم يسلم منهم سوى ٣٠٠٠٠ هربوا ليلا وباقي الفل هربوا مجروحين وقسد ذكر اليافي ٣-١٥٥ نفس العدد الكلي وعدد الناجين .

Matthieu d' Ed. P. 58. (٥٢)

Matthieu d' Edesse; PP. 56, 59, Lamb, PP. 281 — 3 (٥٣) انظر

William of tyre; T. I. P 417 (٥٤)

Laurent, P. 7

Grousset, T. I. P. 333. (٥٥)

(٥٦) انظر التعليق رقم ٣

(٥٧) المقرئ ٢-٢١٠

(٥٨) الكامل في التاريخ ١٠-١١٨

William of Tyre; T. I. PP. 377 — 382. (٥٩)

Matthieu d' Edesse; PP. 45 — 6, Oman : Vol. I. PP. 288 — 291

Lamb; PP. 212 — 218, Michaud; T. I. PP. 123 — 6 , Grousset,

T. I. PP. 173 — 6, Stevenson: The 1 st Crusade (C. M. H. V) ; P. 296.

(٦٠) الكامل في التاريخ ١٠-١١٨

(٦١) منتخبات من المرأة ص ٥٢٠ ، انظر ايضا ابن القلائس ص ١٢٧

(٦٢) ابن ظافر - ورقة ١٥٦ ب

(٦٣) ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٧.

(٦٤) اراد ريموند الصنجيلي ان تكون عسقلان له ، وريموند هذا هو ثالث ثلاثة كانوا اكبر قيادة الحملة الصليبية المعروفة بالاولى وهم : جودفري دي بويون وبوهيمند النورماني وريموند الصنجيلي وحتى وقعة عسقلان هذه ، كان بوهيمند قد افلح في ان يكون لنفسه امارة صليبية قاعدتها انطاكية ، وكان جودفري قد تم اختياره رئيسا للصليبيين في بيت المقدس وبقي الصنجيلي دون املاك ، فتطلع الى تملك عسقلان . ورفض جودفري ان تكون عسقلان ملكا للصنجيلي فهي بحكم موقعها تابعة لمن يملك في بيت المقدس . وبفضل هذا التنافس بين زعماء الصليبيين نجت عسقلان من الوقوع في ايديهم هذه السنة سنة ١٠٩٩ . انظر ابن القلائس ص ١٢٧ والمقرئ ٢-٢١٠ و Matthieu d — Edesse, P. 45

(٦٥) ذكر Willian of Tyre; T. I / P, 378 ان قوات من اترك دمشق قد
اشتركت مع القوات الناطمية بقيادة الافضل في وقعة عسقلان ، على حين ذكر
Oman ; Vol. I, P. 288, Lamb; P. 212 ان الاتراك الذين اشتركوا مع الافضل
في هذه الوقعة كانوا من المرتزقة .

(٦٦) Heyd; T. I. P. 197, William of Tyre, T. I. PP, 419 — 421
Grousset; T. I. PP. 219 — 221, Runciman, vol. II. P. 73

(٦٧) Crousset; T. I. P. 223 ويؤيد ابن القلانص من ١٢٩ ذلك قائلا (في رجب سنة ٤٩٤
فتح الصليبيون قيسارية بالسيف وقتلوا اهلها ، واعانهم الجنويون) وانظر ايضا
William of Tyre; T. I. PP. 421 — 423
Runciman; vol II. P. 73. Michaudi; T. I. PP. 144 — 145.

(٦٨) Stevenson: The Gusaders, P. 44

(٦٩) Stevenson: The Gusaders, P. 45

(٧٠) يقول سبط ابن الجوزي المراجعة ج ١٢-٣ ورقة ٢٣٧ ب (وثبت المسلمون وحملوا على الفرنج
فهزمهم الى قيسارية ويافا) فيقال انهم قتلوا من الفرنج ٣٠٠.٠٠٠ ولم يقتل من المسلمين سوى سمد
الدولة وطبعا في تقدير الخسائر مبالغة واضحة .

ويقول الذهبي : دول الاسلام ٢٠-٢ من ١٦ عن الوقعة نفسها (التقى المصريون والفرنج بظاهـر
عسقلان فقتل مقدم المصريين ، وحمل المصريون فحطموا الفرنج وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى قتل
منهم ١٠٠.٠٠٠) وهو بدوره مبالغ في تقدير الخسائر .

(٧١) ذكر William of Tyre; T. I, P. 430 ان القوات الناطمية في هذه المحاولة اتصفت
بالحيطة والحذر وحسن التدبير ، واستدرجوا العدو الى حيث امكنهم الحاق خسائر فادحة به .

(٧٢) انظر من ١١ و ١٢ ، وانظر ايضا Grousset ; T. I. P. 230

(٧٣) Lot ; Vol. I. PP. 133 — 4

(٧٤) انظر ابن القلانص من ١٤١ ، سبط ابن الجوزي : منتخبات من ٥٢٥ ،
Matthieu d' Edesse P. 61

(٧٥) انظر من ١٥

(٧٦) ابن الاثير ١٠-١٥٢ ، العيني ج ١٥ - ٣ من ٥٨٤

(٧٧) ابن الاثير ١٠-١٦٥ .

Runciman; vol. II, PP. 79 — 80

(٧٨)

Oman; vol. 1. PP; 225 — 6, William of Tyre; T. I. PP. 433 — 5

(٧٩)

Grousset ; T. I. P. 237

(٨٠) انظر ابن الاثير ١٠-١٥٢ ، المعنى ص ١٥-٢٠ ص ٥٦٠

Runciman; vol. II. P. 80, William of Tyre; T. I. P. 435.

(٨١) انظر

(٨٢) انظر ابن الاثير ١٠ - ١٤٤

(٨٣) سبط ابن الجوزي : المرأة ص ١٢ - ٣ ورقة ٢٤٧ - ١

(٨٤) ذيل تاريخ دمشق صفحة ١٤٢ ، يذكر سبط ابن الجوزي : المرأة ص ١٢ - ٣ ورقة ٢٤٧ - ١ ان عساكر جاءت من الشام استجابة للمبادرة الفاطمية ، ونصه كما يأتي : وكتب شرف الدولة ولد الافضل ، الى دمشق وغيرها ، باستدعاء العساكر للجهاد ، فجاءت العساكر ونزلت على يافا ، وتفرقت في السواحل .

(٨٥) ابن القلانص ص ١٤٣

(٨٦) في ربيع سنة ١١٠٤م وصل اسطول جنوى الى ساحل الشام يحمل اعدادا من الصليبيين ، وفيهم المقاتلون من الفرسان ، واشترك هذا الاسطول في مساعدة الصليبيين بانطاكية في بعض العمليات الحربية ، ثم وصل الى المياه الفلسطينية . واتفق بلدوين الاول ملك بيت المقدس مع الاسطول الجنوى على التعاون في فتح عكا ، مقابل منح الجنويين ثلث المدينة المفتوحة وثلث دخل ميناء عكا من الجمارك .

واعفى بلدوين الجنويين من ان يدفعوا ضرائب في جميع انحاء مملكته الناشئة ، فضلا عن اعطائهم ربعا - او حيا - يقيمون فيه في كل من مدينة بيت المقدس وميناء يافا . واكد لهم حقهم - مستقبلا في التمتع بهذه الامتيازات في كل مدينة يفتحونها لحسابه . وكان الجنويون قد ساعدوا بلدوين - من قبل - في الاستيلاء على مينائي : ارسوف وقيسارية ، وحصلوا على امتيازات ماثلة . وهذا يفسر الالتعام بين مصالح مدن او جمهوريات ايطاليا التجارية وبين مصالح الصليبيين في المشرق الاسلامي وهو في الوقت نفسه يوضح بعدا جديدا من ابعاد الحركة الصليبية واخطارها . انظر

Heyd; T / I. PP. 136 — 8. William of Tyre;

T. I. PP. 439, 440.

(٨٧) ابن القلانص ص ١٤٤ ، انظر ايضا ما اثر عن صمود حامية عكا الفاطمية واهلها من المسلمين في ابن الاثير ١٠-١٥٥ وسبط ابن الجوزي : المرأة ص ١٢-٣ ورقة ٢٤٩ ب و ابو الحامص ٥-١٨٨ .

(٨٨) توفي دقاق بن تتش بن الب ارسلان السلجوقي ، امير دمشق في يونيو سنة ١١٠٤ ، وكان المتصرف في اموره اتابكه : طغتكين . وكان طغتكين ، هذا ، قد تزوج من ام دقاق بعد وفاة (تتش) وزواجه هذا يعتبر خطوة من الخطوات الهامة ، التي تؤهل امثاله من قادة السلاجقة ومقدميهم لتولى منصب الاتابكية . والاتابك يصبح عادة صاحب الامر والنهي في الاقطاع او الامارة او الولاية التي من نصيب الامير السلجوقي الذي ينتمى الى البيت السلجوقي . وفي اغلب الاحيان كان الامر ينتهي بان يحول الاتابك السلطة فيما

تحت يده من اقطاع او امارة او ولاية ، الى سلطة وراثية في بيته هو . وعندما توفي دقاق لم يترك سوى طفل يدعى : اتاش فنصبه اتابك طغتكين اميرا . وتطلع اخ لدقاق المتوفى هو : بكتاش بن تنش الى منصب الامارة . وتصدى اتابك طغتكين لبكتاش ، فتحول هذا يطلب المون من الصليبيين في بيت المقدس ، وكان لهذا اثره في موقف اتابك طغتكين تجاه الفاطميين في مصر . انظر ابن القلانسي ص ١٣٨ - ٩ وابن الاثير ١٠ - ١٦٥ .

(٨٩) ابن الاثير ١٠ - ١٦٥ .

(٩٠) ابن القلانسي ص ١٤٩ .

(٩١) الصليب الاعظم هو الذي يعرف عند المسيحيين بـ (صليب الصليبيوت) وهو الصليب الذي يعتقدون ان السيد المسيح (عليه السلام) قد صلب عليه ، ويعتبر قمة مقدساتهم الدينية ، وكانوا اذا حملوه في معركة من الممارك يستميون في القتال ويعتبرون من يقتل منهم شهيدا . انظر William of Tyre ; T. 1. P. 455.

(٩٢) William of Tyre; T. I. PP 456, Stevenson: Crusaders
PP. 47 — 8 Runciman; vol. II. PP. 89, 90, Grousset, T. I
PP. 243 — 5, Michaud, T. I. P. 149.

(٩٣) يقول ابن الاثير ١٠-١٦٥ عن معركة الرملة ، هذه السنة ، بين المسلمين والصليبيين (فوقع المصاف بينهم ، بين عسقلان ويافا ، فلم تظهر احدى الطائفتين على الاخرى - ويقول العظيمي ص ٣٧٧ (التقت عساكر مصر والفرنج وتابك طغتكين ، وقتل الخلق العظيم ، ولم تكن كسرة على احد الفريقين) . وانظر ايضا ابن القلانسي ص ١٤٩ ، المعيتي ج١-٢ ص ٥٨٤ ، ولقد بلغت فرجة المؤرخ الاسلامي الذهبي : دول الاسلام ٢-١٨ بصمود القوات الاسلامية المتحالفة في هذه الموقعة ، ان قال (كان المصاف بين المسلمين والفرنج فانتصر المسلمون ، وكانت ملحمة مشهورة اذلت الفرنج ، وقتل منهم ١٢٠٠٠ شخص .

(٩٤) كان ارتق بن اكسك التركماني . والد سقمان ، واحدا من قادة السلاجقة ايام السلطان الاعظم ملك شاه ، وانتقل الى العمل في خدمة الفرع السلجوقي بالشام فأقطعه تنش - آخر السلطان ملك شاه - زعيم الفرع السلجوقي بالشام ، مدينة بيت المقدس التي انتزعها السلاجقة من الفاطميين انذاك . وحظي ارتق بمكانة سامية بين اتباعه من التركمان فقد كانوا يعظمونه ويكرمونه ، ولهم فيه اعتقاد ، وفي ٣٨٤-١٠٩١م توفي ارتق في مدينة بيت المقدس وخلفه ابنه سقمان وايلغازي ، واستمرا يحكمان مدينة بيت المقدس حتى استردها الفاطميون ٤٩١-١٠٩١م ومن ثم انتقل سقمان واخوه الى بلاد الجزيرة والعراق يحاولان التكوين لانفسهما . ووصل سقمان واخوه الى بلاد الجزيرة والعراق والصراع بين السلطان بركياروق وبين اخيه محمد - على منصب السلطنة - قد بلغ اشده . فانضوا الى جانب محمد ، واجتهدا في اخضرار نار المداوة بينه وبين اخيه السلطان بركياروق . انظر ابن الفرات ٢-٨ وانظر ايضا ص (٣)

(٩٥) توفي كربوغا صاحب الموصل وبلاد الجزيرة ودياربكر في ذي القعدة ٤٩٥ سبتمبر سنة ١١٠١ م ومن ثم دب النزاع بين نوابه في حكم تلك النواحي ، ويهمن من نواب كربوغا في حكم النواحي التابعة له ، ان تذكر ثلاثة ، اولهم موسى التركمان الذي كان ينوب عن المتوفى في حصن كيفا ، وثانيهم سنقرجة

في الموصل وثالثهم جكرمش في جزيرة ابن عمر . وفي هذا الصراع بين نواب كربوغا المتوفى استعمان موسى التركمانى بسقمان املا في انتزاع الموصل ، وفعلوا تم القضاء على سنقرجة واستولى موسى بمساعدة سقمان على الموصل ، ومن ثم تحرك جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر لقتال موسى وسقمان التركمانيين ، وانتصر جكرمش ولقى موسى مصرعه اما سقمان فافلت الى حصن كيخا واستولى عليها . انظر ابن الاثير ١٠-١٤٢-٣ وعن حصن كيخا يقول ياقوت ٣-٢٨٦ حصن كيخا ، ويقال : كيخا ، وأظنها ارمنية ، وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة . بين آمد وجزيرة ابن عمر ، من ديار بكر . وهي كانت ذات جانبين وعلى دجلتها قنطرة لم أر في البلاد التي رايتها اعظم منها ، وهي طاق واحد يكتنفه طاقان صفيان . وهي لصاحب آمد من ولد سقمان بن ارتق . وانظر ايضا القلقشندي ٤-٣١٧ .

وعن جزيرة ابن عمر يقول ياقوت ٣-١٠٢ (بلدة فوق الموصل ، بينهما ثلاثة ايام ، ولها رستاق مخصب واسع الخيرات ، واحسب ان اول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي وكانت له امرة بالجزيرة وذكر قرابة سنة ٢٥٠هـ وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة ، الا من ناحية واحدة شبه الهلال . ثم عمل هناك خندق واجرى فيه الماء ونصب عليه رعى ، فاحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق) وانظر ايضا القلقشندي ٤-٣٢٢ .

(٩٦) ابن الاثير ١٠-١٥٥ .

(٩٧) كان ينوب عن بوهيمند - سنوات اسره - في الوصاية على الصليبيين بانطاكية ورعاية مصالحهم قريب له يدعى : طنكريد ، ولم يقصر طنكريد سنوات وصايته في الدفاع عن امارة انطاكية الصليبية ، بل انه تمكن من استرداد بعض الحصون والنواحي التي كان رضوان ملك حلب قد استعادها يوم ان وقع بوهيمند في أسر ابن الدانشمند . انظر ص ٩

(٩٨) انظر Grousset; T. I. PP. 402, 403 والوحيد من مصادر البحث العربية الذي ذكر صراحة ان الصليبيين تطلعون من وراء مشروعاتهم هذا الى بغداد قلب العالم الاسلامي السني هو : اسامه بن منقذ الكنتاني الشيرازي (٤٨٨-٥٨٤ = ١٠٩٥ - ١١٨٨ م) في كتابه لباب الادب - مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٨٩١٨ ادب - ص ٨٤ .

(٩٩) يقول ياقوت ٣-٢٤٢ (وحران : مدينة عظيمة مشهورة ، من جزيرة اقور ، وهي قصبة ديار مصر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم)، وانظر ايضا القلقشندي ٤-٣١٩ .

(١٠٠) كان بلدوين دى بورج هذا تربطه صلة قرابة بسميه ، مؤسس امارة الرها ، وتعتنى به بلدوين دى بويون الذي غادر امارته بالرها سنة ١١٠٠ الى بيت المقدس غداة وفاة اخيه جودفري حيث نصبه الصليبيون هناك ملكا باسم بلدوين الاول . انظر ص ٢٨ تعليق رقم ٤

(١٠١) ابن الاثير ١٠-١٥٦ .

(١٠٢) يذكر ابن الاثير ١٠-١٥٩ انه كان مع سقمان سبعة الاف فارس من التركمان ، ومع جكرمش ثلاثة الاف من الترك والعرب والاكرد ، وهذه اول مرة تصرح فيها بمصادر البحث باشتراك الاكرد مع اخوانهم المسلمين في الجهاد ضد الكفار .

(١٠٣) انظر ص ١٣ .

(١٠٤) المظبي من ٣٧٥ ويصور ابن الاثير ١٠١٥-١٥٦ قضاء القوات الاسلامية المتحالفة على قوات امارة الرها الصليبية التي استدرجها المسلمون يوم حران ، بينما كانت قوات انطاكية الصليبية تكمن وراء جبل على مقربة من ميدان القتال املا في مباغطة المسلمين قائلا (وكان ييموند صاحب انطاكية وطنكرى صاحب الساحل ، قد انفردا وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم ، اذا اشتدت الحرب ، فلما خرجا رايا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا فأقاما الى الليل ، وهربا ، فتبعهم المسلمون وقتلوا من اصحابهما كثيرا ، واسروا كذلك ، وافلتا في ستة فرسان) .

(١٠٥) انظر من ١٦ وتعليق رقم ٧١

(١٠٦) ابن الاثير ١٠١٥-١٥٦ وكان اتباع سقمان قد استولوا على معظم اسلاب المدو يوم حران كما اخذوا بلدوين دى بروج وقريه جوسلين سيرين ، مما اثار حفيظة اتباع جكرمش فانتزعوا بلدوين من خيام سقمان وكاد ان ينشب القتال بين الطرفين ولكن سقمان ترك بلدوين لجكرمش واختر هو جوسلين وقسم الاسلاب والغنائم بين الطرفين .

(١٠٧) غداة موقعة حران اسرع بوهيمند وقريه طنكريد الى مدينة الرها فارتمت الروح المنوية بين سكانها وشرع الصليبيون في اعداد العدة للدفاع عنها فقد كانوا يتوقعون ان يحاصرهم المسلمون واضطر بوهيمند الى ترك مهمة الدفاع عن الصليبيين بالرha الى قريه طنكريد ، اما هو فقد توجه الى انطاكية ليدرا عنها الاخطار التي تهددتها نتيجة لارتفاع الروح المنوية عند المسلمين في حلب بعد الانتصار الذي احرزه اخوانهم يوم حران . وبعد ان غادر بوهيمند الرها تقدم جكرمش لحصارها اواخر يونيو واوئل يوليو واستبسل طنكريد واهلها في الدفاع عنها ، وتمكنوا من حمل جكرمش على رفع الحصار والعودة الى بلاده . انظر

Runciman, Vol. II. P. 45.
Grousset, T. I. PP. 412 — 5.

(١٠٨) اورد كمال الدين العميد : منتخبات من ٥٩٢ ذكر تلك الحصون والاماكن بالتفصيل

(١٠٩) كان من اسباب اتخاذ بوهيمند قرار مفادرة انطاكية خريف ١١٠٤ والتوجه الى اوربا لحشد المقاتلين الجدد ، ان انتصار المسلمين في موقعة حران ادى الى اعلان كثير من المسيحيين الشرقيين وخاصة الارمن ، في اعمال امارته ونواحيها ، الثورة على السيادة الصليبية وتعاونهم مع المسلمين ، وخطر من هذا ان الامبراطور البيزنطي يوحنا كومنين ارسل قوات برية انتزعت بعض القلاع والحصون التي كان الصليبيون في انطاكية قد استولوا عليها من املاك بيزنطة . كذلك ارسل الامبراطور البيزنطي قوات بحرية لاسترداد بعض الاماكن التي كانت تابعة لبيزنطة على ساحل سوريا الشمالية قبل مجيء الصليبيين - مثل ميناء اللاذقية ، كل ذلك حدث غداة انتصار المسلمين يوم حران . انظر

Runciman, vol. II. P. 45, Grousset; T. I. PP. 412 — 5.

(١١٠) ذيل تاريخ دمشق من ١٤٣ ، انظر ايضا سبط ابن الجوزى : المرأة ١٢ - ٣ ورقة ٢٤٩ - ١ ويقدّر ابن الجوزى ٩-١٣٧ خسائر الصليبيين في موقعة حران باثنى عشر الف قتيل .

(١١١) سبط ابن الجوزي : المرأة ج ١٢ - ٣ ورقة ٢٤٩ - ١

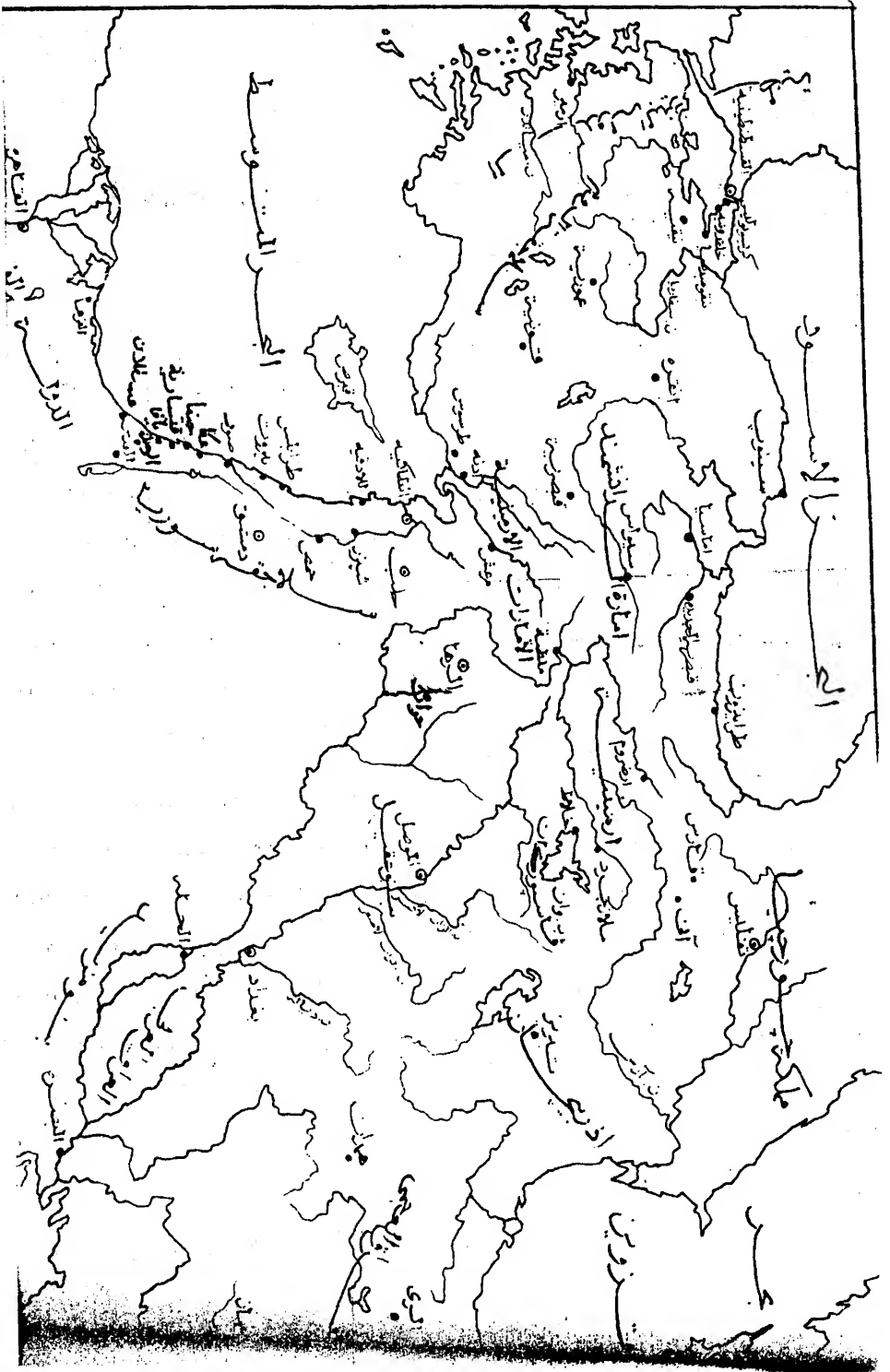
William of Tyre; T. I. PP. 443 — 7 , Matthieu d' Edesse PP. 71 — 4,
Anonymous Syr. , PP. 78 — 80.
Michelle Syr. , T. III . P 195, Oman; Vol, I. PP. 300 — 3,
Stevenson; PP. 76 — 8, Grousset; T. I. PP. 401 — 156.

(١١٢) انظر التعليق رقم ٨٨

(١١٣) ابن القلانص ص ١٤٦ ، ويقول ابن الاثير ١٠-١٦٢ ان طغتكين كتب الى سقمان (يخبره انه مريض قد اشفى على الموت ، وانه يخاف ان مات وليس بدمشق من يحميها ان يملكها الفرنج)

(١١٤) يقول ابن القلانص ص ١٤٦ عن التحالف الذي تم بين سقمان وجكرمش ما نصه (وقد كان الامير سقمان بن ارتق ، والامير جكرمش ، قد اتفقا على الجهاد في المشرق ونصرة المسلمين) وهذا النص يوحى بان تحالف هذين الاميرين لم يكن قاصرا على احباط مشروع الصليبيين في امارتي انطاكية والرها فحسب ، بل انهما - زيادة على ذلك - عنى استعداد لوضع امكانياتهما في خدمة القضية الاسلامية كلها ، ونصرة غيرهما من حكام المسلمين - مهما بمدت بلاد اولئك الحكام - على العدو المشترك .

(١١٥) ابن الاثير ١٠-١٦٣ .



**The Muslims and the Precursors of their Awareness
of the Crusaders' Danger.**

The paper is in two parts : the first is a brief survey of Islamic conditions in the East when the Crusaders first arrived / A. H. 490 (A. D. 1097). Those conditions indicate that all Muslim rulers, without a single exception, were then entirely unaware of the nature of the Crusaders' danger, motives and objectives. They were also not aware of the European powers behind the Crusaders serving their interests. The Muslim rulers' unawareness of the danger was due to their being absorbed in disputes and conflicts. In less than two years, the Crusaders managed to be firmly established in more than one place: Edessa, Antioch and Jerusalem.

The second part of the paper is a survey and analysis of certain events that took place immediately afterwards (between Muslim and Crusaders) in which the writer saw the precursors of the Muslims' awakening to the Crusaders' danger. Those events covered a vast area extending from Asia Minor, Diar Bakr and Mesopotamia, in the extreme north (all under the Seljuks) to Fatimid Egypt in the extreme south. This proves that the precursors of awareness were comprehensive, irrespective of territorial boundaries or ideological differences. The writer referred to about sixty original Arabic and foreign sources.

Dr: A. I. Ramadan.

المصادر العربية

- (١) - ابن الاثير : - الكامل في التاريخ . الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية ١٣٠١ هـ .
- (٢) - البلاذورى : - فتوح البلدان . مكتبة النهضة المصرية .
- (٣) - البغدادي : - كتاب الافادة والاعتبار . نشره موسى سلامة
- (٤) - البندارى : - تاريخ دولة آل سلجوق . مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٩٠٠ م .
- (٥) - ابن الجوزى : - أ - المنتظم في تاريخ الملوك والامم - طبعة حيدر آباد ١٣٥٨ هـ .
ب - شذور العقود - مصور شمس بدار الكتب المصرية رقم ٩٩٤ تاريخ .
- (٦) - الحسينى : - اخبار الدولة السلجوقية طبعة لاهور ١٩٣٣ م .
- (٧) - ابن خلكان : - وفيات الاعيان . طبعة ١٣١٠ هـ .
- (٨) - الذهبي : - أ - تاريخ الاسلام ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٦ (١) .
ب - دول الاملام - جزءان طبعة حيدر آباد (ب) .
- (٩) - ابن ايان : - بدائع الزهور - طبعة بولاق ١٣١١ هـ .
- (١٠) - سبط بن الجوزى : - أ - مرآة الزمان - مصور شمس بدار الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ .
ب - منتخبات من مرآة الزمان (مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية)
Rec — Hist. Croisades. T. III
- (١١) - السيوطى : - تاريخ الخلفاء - طبعة مكة المكرمة .
- (١٢) - أبو شجاع : - ذيل تجارب الامم - طبعة القاهرة ١٣٢٤ .
- (١٣) - ابن الشحنة : - الدر المنتخب . طبعة بيروت ١٩٠٩ .
- (١٤) - الشيرازى : - السيرة المؤيدية . طبعة مصر ١٩٤٩ .
- (١٥) - ابن الصيرفى : - الاشارة الى من نال الوزارة . طبعة القاهرة ١٩٢٤ .

- (١٦) - الاصطخرى : - المسالك والممالك . طبعة ١٣٨١ / ١٩٦١ .
- (١٧) - ابن الطباخ : - اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء . طبعة حلب ١٩٢٣ .
- (١٨) - ابن ظافر : - اخبار الدول المنقطعة ، مصور شمس - دار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ .
- (١٩) - المظلمى : - تاريخ البظلمى . نشره Cahen, G. : J. A. 1938
- (٢٠) - العيني : - عقد الجمان - مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .
- (٢١) - أبو الفداء : - المختصر في أخبار البشر . الطبعة الاولى - القاهرة .
- (٢٢) - ابن الفرات : - تاريخ الدول والملوك . مصور شمس بدار الكتب المصرية ٣١٩٧ تاريخ .
- (٢٣) - ابن القلانيس : - ذيل تاريخ دمشق . طبعة بيروت ١٩٠٨ .
- (٢٤) - القلقشندي : - صبح الاعشى . طبعة دار الكتب المصرية .
- (٢٥) - كمال الدين : - زبدة الحلب - طبعة بيروت ١٩٥١ .
- منتخبات من تاريخ حلب (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية) .
- بغية الطلاب في تاريخ حلب (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية) .
- (٢٦) - أبو المحاسن : - ١ - النجوم الزاهرة - الطبعة / دار الكتب المصرية .
- ب - مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة ط كمبردج ١٩٧٢
- (٢٧) - المقرئى : - الخطط المقرئية . طبعة مصر ١٣٢٦ هـ .
- (٢٨) - ابن ميسر : - أخبار مصر . القاهرة ١٩١٩ .
- (٢٩) - اليافعى : - مرآة الجنان . طبعة حيدر آباد ١٣٣٨ هـ .
- (٣٠) - ياقوت : - معجم البلدان .

المصادر الاجنبية

- 1 — Anonymous Syriac Chronicle :
The First & Second Crusades. Translated by: Tretton, A. S. with notes
by: H. R. R. in Royal Asiatic Society's jurnal — 1933.
- 2 — Bar Hebraeus, Gregory Abul Farag:
The Chronography. Part 1, political History (E—d. With English
Trans. by E. A. W. Budge.) Oxford, 1923 .
- 3 — Barker , Ernest :
The Crusades. London , 1934 .
- 4 — Brehier , Louis :
(A) Le Monde Byzantin , Paris 1947 .
(B) L' Eglise et L' orient ou Moyen Age , Paris 1921 .
- 5 — Browne , Edward :
An account of a rare Manuscript History of the Seljuks, in, jaurnal
of Rayal Asiatic society (J. R. A. S.) july 1902.
- 6 — Mrs. Bucler, Georgina :
A study of Anna Comnene, Oxford, 1929.
- 7 — Chalandon, Ferdinand :
(A) Essai Sur Le Regne —d'— Alxis 1er. Comnene. Paris, 1900,
(B) Historie de la premier croisade. Paris 1925.
- 8 — Defremery . M. C. :
(A) Recherches Sur La Regene du Seldjoukid Brkiarouk , j. A. 1853.
(B) Memoire sur Cette question : Jerusalem a—t— elle ete prise
Par l' armie du Caliph d' Egypte dans l' annie 1096. J. A. 1872 .
- 9 — Grousset , Rene :
Historie des Croisades. T. 1 & 11 Paris — 1983.
- 10 — Heyd, W. :
Historie du Commerce du Levant au Moyen — Age (Trad. Par Farcy
Raynaud) . Lipzig 1936.
- 11 — Lamb, Harold :
The Crusades: Iron men & Saints. London 1945.

- 12 — Laurent :
— L' Armenie entre Byzance et L' Islam depuis la conquete Arabe
jusque 886. Paris 1919.
- 13 — Macler , F. :
Armenia (The Cambridge Medieval History) Val — 1V.
- 14 — Matthieu d' Edesse :
Chronique (Rec. Hist. Croisades) Documents Armeniens T. I.
- 15 — Michaud , J. F. :
Histoire des Croisades. Vol. 1, Paris 1877.
- 16 — Michel le Syrien, patriarche jacobite d' antioche 1166 — 1199.
Chronique. Editie et Traduite par Chabot. J. B. Paris 1910.
- 17 — Oman, C. W. C. :
A History of art of war in Middle Ages. Vol 1. London 1924.
- 18 — Reinaud , M.
De L' Art Militaire Chez les Arabes au Moyen Age J. A. 1848.
- 19 — (A) — A History of the Crusades. 2 vol. Cambridge 1951 & 1952.
(B) — The 1st. Crusade.
- 20 — Schlumberger , Gustave .
Recite de Byzance et des Croisades. Paris 1922.
- 21 — Stevenson, W. B.
The Crusaders in the East 1 vol. Cambridge 1907.
- 22 — Vasiliev , A. A.
Histoire de L'Empire Byzantine. (Traduit du Russe par P. Brodin)
Paris 1932 .
- 23 — Weit, Gaston .
Precis de L'Histoire d'Egypte. LeCaire 1932 .
- 24 — William of Tyre.
L'Estoire de Eracles Empereur et la Congueste de la Tered' Autermer.
(Rec. Hist. Croisades) Historiens Occidentux.
- 25 — Wittek , Paul
The Rise of the Ottoman Empire. 1 vol. London 1838.